

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل(ط1): 1835083600

رقم التسجيل(ط2): 1835080986

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر LMD، التخصص: لسانيات عامة

بمعنوان:

التعليقات اللغوية

ضد دعاوى منتقدي لغة القرآن العظيم

إعداد الطالبتين:

- كنزة بن ساعد

- وداد بن حامد

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د/ حورية زلاقي	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيساً
2	د/ محمد عرباوي	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفاً ومقرراً
3	د/ مهديد خليف	أستاذ محاضر ب	جامعة المسيلة	ممتحناً

السنة الجامعية: 1443/1444 هـ. 2022/2023 م.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية الآداب واللغات

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - Mascara

قسم اللغة والأدب العربي

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا المصفي أسفله السيد **بن ساعد كنزة** الصفة (طالب ، باحث ، باحث دائم)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم **2089330343** الصادرة عن **بنا سرور** بتاريخ **2023 / 02 / 26**

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإعداد بحث (مذكرة تخرج ، مذكرة

ماستر ، أطروحة ~~مكتوبة~~) عنوانه **التحليل اللغوي ضد دعاوى صنفيني**

لغة القرآن الداخلي

تحت إشراف الأستاذ **محمد عريابوي**

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة

الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التاريخ **2023 / 06 / 12**

التوقيع 

مصادقة البلدية

عن رئيس المجلس العلمي البلدي
و بتفويض منه
المكلف
بن حشاد عبد الفتاح



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أسفله السيد بن عامر واداد (الصفة: طالب، باحث، باحث دائم)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم 202049254 الصادرة عن بوسعادة بتاريخ 2017/11/13

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث (مذكرة تخرج، مذكرة

ماستر، أطروحة دكتوراه) عنوانه **التقنيات اللغوية ضد دعاوى تنقيح لغة القرآن الكريم**

تحت إشراف الأستاذ **مصدق باري**

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة

الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التاريخ 2023/07/02

21 جويلية 2023

21 جويلية 2023

التوقيع

مصادقة البلدية



عن رئيس المجلس الشعبي
وبتوقيع من
العضو المفاوض
امضاء: **مصدق باري**

إهداء

أولاً الحمد لله عز وجلّ الَّذي ألهمنا الصّبر والثّبات والعزيمة لإكمال مشوارنا الدّراسي

ثمّ الشّكر للأستاذ المشرف (محمد عرباوي) الَّذي رافقنا خطوة بخطوة ولم يبخل علينا

بتوجيهاته وإرشاداته وكلّ ما يعرفه حول الموضوع

كما نهدي ثمرة جهدنا هذا إلى نبع الحنان ورمز العطاء الدّائم إلى والدي كلّ منّا

وعائلتنا

الَّذين لطالما انتظروا لحظة نجاحنا والافتخار بنا

نهديه إلى كلّ من علّمنا حرفاً أو منحنا وقتاً أو قاسمنا همّاً

راجين من الله عزّ وجلّ أن ينفعنا بما علّمنا وأن يزيدنا علماً

مقدمة:

تعرّض الإسلام إلى حشد هائل من المطاعن والشبهات والافتراءات انطلقت سهامها من جهات شتى قاصدة محور الاسلام بما احتواه، وتغلّغت تلك الأباطيل في كلّ بقعة من كتاب الله ، فيعتبر القرآن بداية الدراسات اللّغويّة العربيّة وقد احتوى على إشارات علميّة عن الانسان والكون والتي لم تكن تعلم عنها البشريّة شيئا من قبل، لكنّها ثبتت مؤخرا من خلال عدّة دراسات، فكان بذلك مواجهة لكل أعداء الدّين ومحطّة لمن أراد الخوض في رحلة النّقد التي بدأت مشنّة بين عدّة جوانب إلى أن وصلت إلى لغة القرآن وأيّة لغة إنّها العربيّة التي وصلت إلى أوج تطوّرها وانبثقت عنها جملة من العلوم (فقه، بلاغة، نحو، صرف، دلالة... إلخ).

هذا التطور بعث الخوف في قلوب الغرب والذي بدا جليّا من خلال بروز حملات التشكيك التي شملت علوم اللّغة فكانت معظمها تخطيئا لقواعدها ومحاولة إيجاد الثّغرات ونشرها على أنّها حقائق من أجل تشويه صورة اللّغة العربيّة وإزاحتها من السّاحة اللّغوية لنيل شرف الأسبقية والريادة العلميّة في جميع المجالات، وإذا كان القرآن تحديّا من الله للعرب بما يحمله من إعجاز وفصاحة، فهو تحدّي لغيرهم بكونه الكتاب الوحيد الذي كان ولا يزال محفوظا من التحريف لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس، 37]

أي لا يمكن الإتيان بمثله أو تحريفه أو التعرض له وذلك لأنّه وحي الله فيه تصديق وتأكيد لقبله من الكتب وتفصيل الشريعة الإسلاميّة والظواهر الكونيّة.

وقد سخر الله من عباده ما كان ردعا للتشكيك ودرعا لحماية القرآن ، فتطوّرت بذلك ردود الفعل بتطوّر الشبهات دفاعا عن الدّين أولا والقرآن ثانيًا واللّغة العربيّة بجميع مجالاتها ثالثا فنشأت بذلك جملة من التّعليلات اللّغويّة ، هذه الأخيرة فتحت مجال البحث أمانا وكانت في محض تخصّصنا وشاملة لكلّ مباحثه فأردنا بذلك التّوسع أكثر وبسط النّقاط الغامضة حول

الموضوع والمتعلقة بالجانب اللغوي ، فكانت بدايتنا بالرجوع إلى آيات القرآن الكريم ثم أمّهات الكتب المتعلقة بالنحو والتّعيد والإعراب .

أسباب اختيار الموضوع:

من بين الأسباب التي دفعت بنا إلى السير في هذا البحث والتّقصي حوله ما يلي:

1- المشاركة ردّ الشّبهات التي تعرّض لها القرآن إضافة إلى المشاركة في

الدِّفاع عنه ولو بالشَّيْء القليل.

2- وضع هذا الموضوع في السَّاحة اللُّغويَّة فمهما تعدَّت الدِّراسات الَّتِي أُجريت على القرآن سواء في الإعجاز أو الفقه.... إلخ فستظلَّ سفينة في بحر لا مرسى لها ولن تقي حقَّه وخير دليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف، 169].

3- كثرة الشُّبهات وتجدها مع مرور الزَّمن والَّتِي تلزم التَّصدي لها وإبطاها حسب تخصَّص ورودها.

4- إبراز أهميَّة القرآن ومكانته لدى المسلمين وفضل الانتصار لكتاب الله.

أهداف البحث:

سعيًا من خلال هذا البحث إلى:

- 1- تكذيب الاعتقادات السَّائدة حول أسبقية النَّحو للقرآن.
- 2- إبراز جهود النَّحاة بصفة خاصَّة وعلماء العربيَّة بصفة عامَّة والمفسِّرين في الدِّفاع عن الدِّين واللُّغة والتَّأصيل لهما من خلال التَّقصيل فيهما.
- 3- ردع التَّشكيك وإبطال الشُّبهات.

إشكاليَّة البحث:

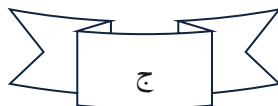
خلال سيرنا في البحث مررنا بعدَّة محطَّات حاولنا الإجابة فيها على جملة من

التَّساؤلات الَّتِي تفرَّعت عن إشكاليَّة مهمَّة الا وهي:

* ماهي التَّعليلات اللُّغويَّة الموجهة ضدَّ منتقدي لغة القرآن العظيم؟

حاملة في طياتها الكثير من الغموض الَّذي تعبَّر عنه الأسئلة التَّالِيَّة:

٧/ ماذا نقصد بالتَّعليلات اللُّغويَّة؟



لأمتى بدأت الحرب على القرآن؟

لأمن هم منتقدو القرآن الكريم؟

لأماهي أهم التعليقات اللغوية المتعلقة بمستويات اللغة (الصرفية، النحوية، التركيبية

والمفرداتية...)؟

المنهج المعتمد:

من أجل الإجابة على كل ما سبق لجأنا للمنهج الوصفي لأنه الأنسب لأن يكون طريقا

لوصف الشبهات وطرق الدفاع ثم تحليل الأقوال بالرجوع إلى القواعد والقوانين التي تحكم

اللغة ومن ثم الحكم عليها وتخطيء الافتراءات.

الدراسات السابقة:

وقد سبقنا إلى هذا الموضوع بالدراسة كل من:

1- عبد الرحمن دمشقية بكتيب له بعنوان الرد على شبهات حول أخطاء إملائية في

القرآن الكريم.

2- الدكتور عبد الجليل الشلبي بكتاب له بعنوان ردّ مفتريات المبشرين على الإسلام.

3- أطروحة دكتوراه لعبد المحسن بن زين المطيري بعنوان دعاوى الطاعنين في القرآن

في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها .

وقد حاولنا الاستفادة من هذه الدراسات ومن غيرها لإعادة بسط الموضوع بصورة سهلة

ومختصرة ودقيقة مع إبداء بعض الرأي فيها.

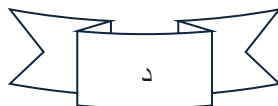
المصادر والمراجع:

من أجل إثراء هذه الدراسة اعتمدنا جملة من المصادر والمراجع منها:

1- كمال اللغة القرآنية للدكتور محمد داوود.

2- إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش.

3- التحرير والتنوير لابن عاشور .



هيكل البحث:

اعتمدنا خلال سيرنا في البحث مخططاً شمل مقدّمة ومدخل وفصلين إضافة خاتمة .
المدخل: وهو حجر أساس البحث تكلمنا فيه عن نشأة الحرب على القرآن وأسبابها كما تطرّقنا إلى رواد هذه الحرب، وعددنا أنواع الطّعن في القرآن وصولاً إلى لغته والتي شملت مستويات التحليل اللساني.

الفصل الأول: والمعنون بالردّ على الانتقادات الصرفيّة والنحويّة و هو عبارة عن دراسة تطبيقية انقسمت إلى مبحثين اختصّا بما يلي:

- الجانب الصّرفي: اهتمّ بدراسة الشّبّهات الصرفيّة وتعليلها.
-الجانب النحوي: اهتمّ الشّبّهات النحويّة والذي انقسم بدوره إلى مطلبين، مطلب اختصّ بشبّهات المطابقة والآخر بشبّهات إعرابية.
وختمنا هذا الفصل بحوصلة لما جاء في ثنايا الفصل.

الفصل الثاني: والمعنون بالردّ على الانتقادات التركيبية والمفرداتية وهو أيضا دراسة تطبيقية انقسمت إلى مبحثين:

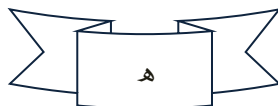
-الجانب التركيبي: تطرّق إلى الروابط اللفظيّة والحشو والتكرار وبعض التراكيب الغامضة.

- الجانب المفرداتي: وتعلّق بالألفاظ الغريبة، الأعجميّة، الخادشة للحياء، المعيبة في بنيتها، المتقاربة صوتيّا ومتناقضة المعنى.

كما ختمنا الفصل بحوصلة لأهمّ النّقاط التي جاءت في الفصل.
وذيّلنا البحث بخاتمة تضمّنت النّتائج المتحصل عليها من الدّراسة.

الصّعوبات:

رغم المجهودات التي بذلنا لإنجاز هذا البحث وتقديم الأفضل إلا أننا قد واجهنا بعض الصّعوبات منها:



- تكرار نفس الأمثلة بين أكثر من مرجعين إذ نجد بعض الكتب تأخذ من بعضها فعوض تنويع الأمثلة تجد نفسك تدور في نفس الحلقة.

- قلة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع التشكيك اللغوي في القرآن فأغلبها تضمن شبّهات العقيدة....

- التداخل بين مباحث اللغة كأن تجد مثالا في الآية نفسها تعليلا في مستوى لغوي معين ثم تجد لها تعليلا في مستوى آخر.

وأخيرا نرجو أن نكون قد ألممنا إلى حد معين بجوانب الموضوع وكشفنا عن أهم الثغرات فيه، فإن أصبنا فهذا توفيق من الله عزّ وجل وإن أخطأنا فحسبنا أننا بذلنا جهدنا، ولا يمكن بوصولنا إلى هذا الحد أن ننسى أصحاب الفضل علينا فنتقدّم بجزيل الشكر وأسمى عبارات الامتنان والتقدير إلى كل من هوّن علينا هذا الطريق وكان لنا سندا وأنار سبيل النجاح : أستاذنا الفاضل "محمد عرباوي" لك منا كل التّناء والتّقدير على جهودك بدءا من اختيارك معنا الموضوع إلى تأطيرك البحث ، نشكرك على نصائحك وتوجيهاتك التي لم تبخل بها علينا ونقدّر عطاءك اللامحدود فجزاك الله خيرا ورفع مقامك في الجنّة درجات ،كما نقدّم شكرنا إلى أعضاء اللجنة المناقشة كلّ باسمه ومقامه

مدخل

مدخل:

بدأ الإسلام في عصر انتشرت فيه عبادة الأصنام وتفرقت فيه الأديان حيث جاء تثبيت هذا الدين بوحى سمي القرآن، كان هدى بعد سنين من الضياع اتخذ فيها كل قوم ديناً لينزل كلام على رسول كريم تثبيتها لفؤاده وتوحيداً لكلمة الحق ورسالة جامعة للأديان السابقة، لكن عقول الجاهلين لم تستوعبه وأثارت حوله العديد من الأباطيل لافتة الانتباه لتفاصيله والمتشابهات فيه فنشأت بذلك حروب باردة منطقتها لغوي علمي.

1- مفهوم التعليل اللغوي:

يتكون هذا المصطلح من كلمتين أولهما التعليل مصدر علّ و يقال علّله بالشئ تعليلاً أي لها به وهو بيان سبب ابتداء العرب لظاهرة لغوية ويعرفه "الجرجاني" بقوله: «هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر»¹.

أما الثاني فهو اللغة ويقول: "ابن فارس" في (مقاييس اللغة) من لغو اللام والغين والحرف المعتل أصلان صحيحان أحدهما يدل على الشئ لا يعتد به والآخر على اللهج بالشئ ويقال لغى بالأمر إذا لهج به ويقال إنقأن اللغة أن يلهج صاحبها بها².

وإذا جمعنا كلا المصطلحين لوجدناه يوضحان بتقرير ثبوت ظاهرة تخص اللهج وهي بيان العرب لأسباب الظواهر اللغوية التي تحدث أثناء الكلام.

وتعدّ التعليلات اللغوية مجموعة من جهود المسلمين العالمين ومقاومتهم كافة المحاولات المعادية التي بذلت من أجل إخراج اللغة عن أصولها.

¹ - أمل أحمد علي مفتاح، تعليل الظواهر اللغوية عند ابن جني، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماستر، جامعة طرابلس، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، د.ط، 2010/2011م، ص10.

² - ينظر : ابن فارس ،مقاييس اللغة، دار الفكر، د.ط، 1979م، 2250، 2251.

من خلال التعريفات السابقة نستنتج أنّ التعليقات اللغوية هي جملة من الردود التي تخص الجانب اللغوي بمستوياته ضدّ الأباطيل التي صدرت عن منقدي لغة القرآن العظيم مشوّهة تفاصيله، فكانت تلك التبريرات متنوّعة حسب نوع الشبهة صادرة عن قراءات معمّقة في الكتب التّعبيدية وشاملة القواعد المستثناة التي جهلها هواة التّلفيق.

2- مفهوم انتقاد القرآن الكريم:

يقصد بانتقاد القرآن الكريم هو مهاجمته ومحاولة التشكيك في صدق مضمونه وفي سلامة لغته بإثارة الشبهات وتحريك الانتقادات، والهدف منه إعلان الحرب على الإسلام وأسباب قوّته وعلى رأسها القرآن العظيم حيث بدأ منذ البواكير الأولى لنزوله فاندلعت نيرانها في أوّل مجابهة مع الوثنيّة وسجّل القرآن خلالها أوّل جولة من هذه الحرب¹، واستمرّت الحروب في النشوب تارة والخمود تارة أخرى شاملة كلّ صغيرة وكبيرة سواء من ناحية المعنى أو المبنى وقد كان هناك بعض المؤلفات التي دافعت عن القرآن آنذاك، والتي وصلنا من أخبارها قول "السيوطي": «إنّ أوّل من ألف فيه هو "قرطب"، واسم كتابه (الرد على الملحدّين في متشابه القرآن)، وهذا غير صحيح، فإنّ الإمام "سفيان بن عيينه" له فيه كتاب هو (جوابات القرآن) ويقال أنّه هناك من هو قبله وهو الإمام "مقاتل بن سليمان" فله كتاب بنفس العنوان ولكن هذه الكتب الثلاثة مفقودة ولعلّ أقدم ما وصلنا في موضوع الطعن هو كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة¹.

ويمكن القول إنّ البداية الحقيقيّة للهجمة كانت في عصر "ابن قتيبة" الذي قال: «وقد اعترض كتاب الله بالطّعن ملحدون لغوا فيه وهجوه واتّبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وتأويله بأفهام كليلّة، وأبصار عليّة، ونظر مدخول فحرّفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله»².

¹ - محمد داوود، كمال اللّغة القرآنيّة، دار المنار، (د، ط)، 2008، ص6.

وقد غفل الملقون للشبهات حول القرآن والعربية عن حماية الله لكتابه وحفظه، ومقرّر أنّ كلام الله سابق على قواعد النّحو التي وضعها أبو الأسود الدؤلي وأبو عمرو وطورها الخليل وسيبويه معتمدين في استنباطهم لهذه القواعد على القرآن الكريم بالدرجة الأولى ثمّ أشعار العرب وكلامهم، فلا يمكن أن تكون هذه القواعد اللاحقة حكما على الأصل الذي صدرت عنه فإجماع النّحاة ليس حجة ملزمة وإنّما الحجة هي اللّغة نفسها إضافة إلى أنّ القرآن غير مفتقر لإقامة الدليل من خارجه على صحّة شيء فيه فهو النّمودج الأعلى للسان العربي لغة، ونحو، وصرفا، وبيانا، وبلاغة³، كما أثبت "وليد عاطف الأنصاري" هذا بقوله: «وعندي أنّ النّحو العربي قد نبت في بيئة عربية حتّى استوى سوقه، فقد نشأ النّحو العربي لخدمة القرآن ضبطا وفهما»⁴.

كما صدرت مؤخرا مؤلّفات كانت بداية لمحاولة التّحريف والتي من بينها (دحض القرآن)، إضافة إلى ذلك قاموا بترجمة ألفاظ القرآن كبداية التّشويه وباءت كل هذه المحاولات بالفشل، ولعلّ الهجمة المعاصرة أشدّ ضراوة من سابقتها وذلك من خلال تدخّل التكنولوجيات الحديثة واستعمال الشبكة العنكبوتية في إنشاء فضائيات ومواقع تنشر كتب ومقالات تحمل في طياتها جملة من الانتقادات والأباطيل ولم يتوقّف الموضوع عند هذا الحدّ بل قامت أمريكا بتأليف كتاب وزعمه أنّه قرآن تحت عنوان (الفرقان الحق)⁵.

3- دوافع انتقاد القرآن الكريم:

¹ - محسن بن زين بن متعب المطيري، دعاوى الطّاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع الهجري والرّد عليها، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 2006، ص42، 41.

² - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ت ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ط، د.ت، ص21.

³ - أحمد بن سليمان أيّوب، موسوعة محاسن الإسلام وردّ شبهات اللّثام، دار الألفيّة، الطّبعة الأولى، 2010، ج12، ص6752.

⁴ - وليد عاطف الأنصاري، نظريّة العامل في النّحو العربي، دار الكتاب النّقّافي، الطّبعة الثّانيّة، 2014، ص10.

⁵ - محمّد داوود، كمال اللّغة القرآنيّة، دار المنار، (د، ط)، 2008، ص7.

اختلفت دوافع المشكّكين وطرقهم في الوصول إلى كتاب الله وإن كان الهدف واحد، و من بين أسباب الحرب على القرآن ما يلي:

أ- معرفة أعداء الدّين أهميّة كتاب الله في نفوس المسلمين ومدى تعلّقهم به، فهو باعث نهضتهم ومحیی همّتهم وموحّد كلمتهم وسبب قوتهم، يقول "مردخاي الياهو": « هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكريّة مواجهته، كيف يمكن تحقيق السّلام في وقت يقدّس فيه العرب والمسلمون كتابا يتحدّث عنا بكلّ هذه السّلبیّة؟! على حكام العرب أن يختاروا إمّا القرآن أو السّلام معنا»، من هنا يظهر عجزهم أمام القرآن والمسلمين والذي تحوّل إلى افتراء.

ب- زرع الفتن بين المسلمين وهدم الدّين الإسلامي فقد روي عن "الشّعبي عن زياد بن حدير" قال: « قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: فقلت لا. قال: يهدمه زلّة عالم وجدال منافق بالكتاب وحكم الأنمّة المصلّين».

ج- محاربة المسلمين وفتح باب الشّقاق والنّزاع بينهم ، فقد رأى الكفّار أنّ أهل الإسلام لا يمكن قهرهم بالسّلاح فهم قوم يحبّون الجهاد في سبيل الله لذلك توجّهوا إلى القرآن حتّى ينتزعوا قدسيّته ويثبتوا أنّه ليس وحيا من الله وإنّما كلام الرّسول ﷺ أتى به من بعض أهل الكتاب وقالوا هو شاعر وكاهن.

د- كلّ الكتب التي سبقت القرآن حرّفت ممّا جعل الملحدون يتسابقون لإلحاقه بالدّحض.

و- فشل الكنائس المسيحيّة في إثبات عقيدة التّثليث وسقوطها أمام عقيدة التّوحيد ساهم بشكل كبير في انتشار ثقافة الطّعن واللّغو.¹

¹ - عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري، دعاوى الطّاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرّد عليها، (ص65-66-67).

ي-محاولة زعزعة الإيمان في قلوب المسلمين من خلال الاجتهاد والتقاني في ذكر المتشابهات القرآنية وإحصائها ضمن قوائم النقد¹، ومن الملاحظ أن كل هذه الأسباب وان تنوّعت فيبقى منبعها الوازع الديني وغيره كل قوم على مرجعيتهم ومعتقداتهم وشرائعهم. ونظرا لتعدد الأسباب وتشعبها فقد تعددت أيضا مجالات حيث الانتقاد جاء الطعن في القرآن على شكل شبهات تداولت وراجت بين الكتب وبعض المواقع الغربية وتعود كلمة الشبهات في مجملها إلى «معنى الالتباس وقيل أنها مشابهة الحق للباطل والباطل للحق من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب»² وقد ذكرها "الباقلاني" في كتابه (الانتصار للقرآن) بقوله: «اشتبه عليّ الأمر إذا التبس مع غيره ومنه سميت الشبهة المصوّرة للباطل بصورة الحق شبهة».

وقد تنوّعت شبهات المشكّكين في القرآن كما تنوّعت مناهج عرضها والتي انقسمت إلى:

أ- الانتقاد الموضوعاتي: وهو ما شمل مضمون القرآن من عقائد وأمر غيبية حيث كالتوحيد وصفات الله عزّ وجلّ والذنوب ووصف الجنة والنار ومثال ذلك قولهم أن لله وجه وجسد واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرّحمان، 27]³. إضافة إلى كلّ ما تعلّق بالوحي وإعجاز الآيات فتنبّعوا المتشابه منه وادّعوا وجود تعارض في آياته طاعنين في أساليب جمعه ومصادره معترضين على حقيقة وجود الإعجاز في القرآن.

¹ - المرجع نفسه، ص 68.

² - مي بن محمّد الهدب، منهج القرآن الكريم في الردّ على الشبهات خصائصه وقواعده، مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية، 1442، ص 201.

³ - أحمد بن سليمان أيوب، موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللّثام، دار إيلاف، الطبعة الأولى، 2010م، ص 1340.

ب- الانتقاد اللغوي : يدخل ضمن هذا الانتقاد كل ما مسّ مستويات التحليل اللساني من تراكيب ومعاني وبلاغة وألفاظ القرآن¹، ولما كانت اللغة العربية لغة قياسية مبدأها تحليل الظواهر التي تخضع لها تراكيبها خصوصا إذا ما تعلّق الأمر بمصدر تقعيدها (القرآن) فحتما ستجد علماءها بالمرصاد، فكان بذلك منهج الرد على الشبهات اللغوية بجملة من التعليقات اللغوية والتي سنفصل فيها لاحقا في فصول البحث.

4- فئات منتقدي القرآن الكريم:

لا يأتي الافتراء بلا سبب فقصيّة القرآن وبلاغته جعلت منه مركز نقد من طرف الطاعنين وهم مجموعة من المشكّكين، الذين يرمون عليه الشبه والاشكالات والاضطرابات بهدف اسقاط القدسيّة .

وجاء اسم الطاعنين من الطعن على قول ابن فارس (طعن) الطاء والعين والنون أصل صحيح مطرد وهو النّخس في الشّيء بما ينفذه ثمّ يحمل عليه ويستعار ورجل طعان في أعراض النّاس . وفي الحديث: «لا يكون المؤمن طعانا»، وحكى بعضهم: طعنت في الرجل طعنانا لا غير، كأنّه فرق بينه وبين الطّعن بالرمح².

و للطّعن معنيان أولهما حسّي يدلّ على الضّرب بآلة حادة والثاني يدلّ على القرح في شيء سواء نسباً أو كتاباً أو شخصا أو غير ذلك، وإذا ربطنا المصطلح بالقرآن فيعدّ مبحثا في علوم القرآن يبحث في الرد على من طعن في كتاب الله أي تكلم فيه ولغى.

وينقسم الطّاعنون إلى مستشرقين وعلمانيين على النحو التّالي:

أ-المستشرقون: هم مجموعة من الأشخاص يتعلّمون العربيّة وكتبوا عن الاسلام، يلبسون لباس العلم ويدّعون البحث عن الحقيقة، لكنّ في داخلهم قد عقدوا نيّة جمع المطاعن الملقّة عن الإسلام ، فهم يتنكّرون لمنهج العلم الصحيح الذي من شأنه عرض الحقائق.

¹ - المرجع نفسه، ص1965.

² - مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الفكر، المكتبة الشاملة، (د، ط)، 1979، ص1424.

والمتتبع لحركة الاستشراق سيعلم حتما أنها امتداد للحروب الصليبية ضد الاسلام وأنها حركة مواكبة للاستعمار الغربي لبلاد الشرق وشكل من أشكاله وقد نشطت منذ قرنين من الزمان¹.

ومعنى الاستشراق هو الاتجاه إلى الشرق وقد اتخذ المستشرقون دراسة اللغات الشرقية وسيلة للاتجاه إليه بحيث تخصصوا حتى في العلوم العربية.

ب- العلمانيون: هم مجموعة من الأشخاص تتلمذوا على يد المستشرقين ورضعوا من أفكارهم وطعنوا في كتاب الله بحيث يدعون الإسلام ويتكلمون باسمه ويزعمون إرادة الإصلاح، وسموا علمانيون لأنهم ينسبون أنفسهم للعلم تلبيسا على عامة الناس، وهم أشد خطرا على الإسلام لأنهم يطعنون فيه باسمه ويعيشون في أحضانته².

ويمكن القول إن كل من المستشرقين والعلمانيين قد عاشوا في أوساط العرب وتدارسوا لغتهم (العربية) على أتم وجه حتى يتمكنوا من التوغل وإيجاد ثغرات ونقائص في القرآن الكريم بهدف التحريف وتشويه الدين واللغة العربية مستعملين هذا السلاح في التضليل العلمي.

¹ - عبد المنعم محمد حسنين، الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، العدد العاشر، 1977، ص3.

² - عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري، دعاوى الطاعنين في القرن الرابع الهجري والرد عليها، ص28.

الفصل الأول: الرد على الانتقادات الصّرفيّة والنّحويّة.

1- الرد على الانتقادات الصّرفيّة.

2- الرد على الانتقادات النّحويّة.

تمهيد:

تطرق منتقدو لغة القرآن لعدة جوانب لغوية سواء تعلقت هذه الجوانب بالمعنى أو بالمبنى والتي من بينها المستوى الصرفي والمستوى النحوي، حيث الأول فيعنى بأبنية الكلمة وتحولاتها والقالب الذي تتراصف فيه الحروف، أما الثاني فهو الميزان الذي تحدّد به المواقع الإعرابية في الجمل ، وفي هذه المستويات عدة مواضيع اهتمّ بها المشكّكون خلال هجومهم على القرآن بحيث تطرّقنا إليها في هذا الفصل مقابل جملة من التعليقات اللغوية.

أولاً: الرد على الانتقادات الصرفية.

الشبهات الصرفية هي التباس باطل قيل في حق الآيات القرآنية في جانبها الصرفي وذلك ضمن الصواب التي تحكم بنية الكلمات وأوزانها من تصرف وجمود حيث أوردها

المشككون على أنها إخلال لما تقتضيه العربية وخروج عن قواعدها المتواضع عليها والتي من بينها :

1- العدول في الصيغ العدد:

أ- جمع القلة مكان جمع الكثرة:

استدل المشككون فيما يخص موضوع الجموع بقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة، 184].

حيث جاء جمع المؤنث السالم (معدودات) وهو جمع قلة وصفا لعدد من أعداد الكثرة وهذا في زعمهم مخالفة لما شهد به البناء الصرفي وصوبوه بقولهم «أياما معدودة» ، ونحن نرى أن المنتبغ لقواعد العربية المتعلقة بالجموع (الجمع المذكر السالم والجمع المؤنث السالم) يجد أن النحاة لم يضعوهما في خانة جموع القلة والكثرة وإذا افترضنا صحة زعمهم نجد أن حتى جموع الكثرة والقلة قد يعبر ببعضها عن الآخر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة، 288].

وإذا قلنا أن معدودات هو جمع قلة فإن هذا له سر بلاغي في مراعاة للمبنى وفيه تسهيل وتيسير للصائغ فكلمة معدودات بمعنى أيام قلائل ومحدودة فقط ومنه من قصر كلمة الصيام في الآية على الأيام البيض لذلك عبر عنها بكلمة معدودات¹، فنلاحظ أن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يشق على عباده حتى في اختياره للكلمات لذلك نجد من مثل هذه الألفاظ الخفيفة على أذن السامع.

ومن وجهة نظر أخرى يقال أن المراد من كلمة معدودات هو أنها قابلة للعد وقال "الزمخشري" «معدودات أي موقتات بعدد معلوم»².

¹ - محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص 100/99.

² - أحمد بن سليمان أيوب، موسوعة محاسن الاسلام ورد شبهات اللئام، ص 6859.

وجاء في مثال آخر قوله تعالى: ﴿وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ [يوسف، 43] ، بحيث ادّعوا وقوع جمع القلة (سنبلات) عوض جمع الكثرة (سنابل) وصوبوه بقولهم (سبع سنابل خضر). بالنظر إلى الآية نستحضر قاعدة الجموع في العربية حيث نجد أن الجمع ثلاث (جمع مذكر سالم وجمع مؤنث سالم وجمع تكسير ينقسم هذا الأخير إلى جمع قلة يستخدم للأرقام من عشرة فما تحت وجمع كثرة يستخدم للأعداد من عشرة فما فوق) ، وتعدّ الآية التي بين أيدينا صحيحة وذلك لتعبيرها على الرقم سبعة وهو تحت العشرة ليأتي الوصف له بجمع القلة والجمع هنا في محله.

كما يعد العطف الموجود في الآية دليلاً آخر على صحتها حيث عطف سبع سنبلات على سبع بقرات وهذا الموقف حسن فيه الجمع بالألف و التاء مطابقة لقاعدة المعطوف والمعطوف عليه وإذا كان القصد من زعمهم بأن جمع كلمة سنبلة تذهب إلى جمع التفسير (سنابل) فهذا خطأ لأنّ الصّرفيين قد نصّوا على أنّ كل ما ينتهي بالتاء يجمع جمعا سالما¹.

لاحظنا من خلال مرورنا بكلا المثالين تأثير مظاهر المطابقة (المعطوف و المعطوف عليه...) في الصيغة الصرفية للكلمة إضافة إلى تنوع قواعد الجمع وتخصّصها ومنه نصل إلى أنّ الآيتين صحيحتين.

ب- جمع الكثرة مكان جماع القلة:

زعم المشكّكون أنّ القرآن قد خالف قاعدة الجمع بمجئ جمع كثرة مكان جمع قلة واستدلّوا على توهّمهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة، 80]. فقول أنّ كلمة أياما تم وصفها بجمع كثرة (معدودة) في حين أنّه من الواجب أن تكون جمع قلة (معدودات)، وردّ اللّغويون على هذا الافتراء الذي ليس له أساس من الصّحة بقولهم:

¹ - ينظر: جماعة من المؤلّفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشّبهات والأباطيل، ج2 (شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية في القرآن الكريم)، تنسيق جمال فوزي محمّد، كلية الآداب، جامعة قناة السويس، د.ط، د.ت، ص 210-211.

- لفظ معدودة ليست جمع بل مفرد (لاهي جمع قلة ولا جمع كثرة).
- وإذا افترضنا صحة زعمهم نجد أن معدودات هي جمع كثرة لأنها على وزن مفعولات.

- يمكن التعبير عن جمع التذكير بالمؤنث تارة أو بالجمع المؤنث السالم تارة أخرى¹.
كما قارن المشككون هذه الآية بقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنُتَمَسِّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران، 24]، فادّعوا وجود تناقض في الجمع (المعنى واحد واللفظ مختلف).

- ردّ علماء العربية عن هذا الاختلاف بأنه راجع لتباين أقوال اليهود فهناك فرقتان:
- فرقة تقول أن مدة التعذيب في النار تكون عدد أيام الأسبوع أي سبعة أيام.
 - وفرقة تقول أن مدة التعذيب في النار تكون عدد أيام عبادتهم آبائهم للعجل أي أربعون يوما.

فأية آل عمران تحمل قصد الفرقة الثانية (معدودات) جموع الكثرة في حين أن آية البقرة تحمل قصد الفرقة الأولى (معدودة)² وبالتالي فكل من الكلمتين حملت على معنى استعمالهما وبرجعنا إلى قاعدة الجموع التي تقول أنه ما لم يستوف العشرة يعبر عنه بجموع قلة وما استوفاه فيوصف بجموع كثرة وهذا ما حدث في الآيتين الأولى عبرت عن أيام قلائل (سبعة) استعمل فيها جمع قلة ، أما الثانية فجاءت تعبيراً على فترة غير محددة لذلك كان من الواجب استعمال جمع الكثرة ومنه فالآية صحيحة ما دامت تستوفي شروط الجمع.

ج-الجمع مكان الافراد:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات، 123] ثم قال في نفس السورة ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ﴾ [130].

¹-المرجع نفسه، ص21.

²- أحمد بن سليمان أيوب، موسوعة محاسن الاسلام ورد شبهات اللّثام، ص6855.

هذا الآية التي أعاب عليها المشككون بقولهم أنه من الخطأ جمع اسم العلم واصفين إياه بالسجع المتكلف، ويقصد به السجع المبالغ فيه الذي يصرف الذهن عن الغرض الأساسي لأغراض أخرى.

وردًا على قولهم هذا نجد أن اسم إلياس هو اسم علم أعجمي ومهما أتى بلفظ فإنه لا يعني أبدا مخالفته لقواعد العربية أو لغتهم كما هو الحال مع اسمي (إبراهيم، أبرام) اللذان هما اسمان لنبي واحد ويعد إلياسين هو الاسم الكامل لإلياس وهو ليس بعربي حتى يعدّ جمعه مخالفة¹.

كما ذهب تفسير الآية إلى أن (إلياس) أريد به التخصيص وعبر عنه (بإلياسين) لأنه يدعى به وقال "الرمخشري" في (الكشاف): «لعلّ لزيادة الألف والنون في لغتهم معنى ويكون ذكر (آل) إقحاما كقوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر، 46]، أي إدخالهم في الحكم نفسه كما في الآية الأولى فالمقصود السلام على آل إلياس (قوم إلياس) وقيل أن إلياسين هو أبو إلياس فالمراد بها هنا إلياس وذويه من آل أبيه²، ومن الملاحظ كثرة ورود هذا النوع من الكلمات في القرآن بحيث تستعمل إذا أريد بها نسبة القوم لأحد الأنبياء أو جمعهم أو اشتراكهم في الحكم مثل (آل لوط، آل فرعون، آل عمران، آل داوود....9)

وقرأ نافع وابن عامر (إل ياسين) بهمزة بعدها ألف ولام على أنهما كلمتان (إل وياسين) في حين قرأ الباقر الهمزة مكسورة دون ألف بعدها وبإسكان اللام على أنهما كلمة واحدة

¹ - عبد الرحمن دمشقية، الرد على شبهات حول أخطاء إملائية في القرآن الكريم، دار المسلم، الطبعة الأولى، 2001م، ص21.

² - جماعة من المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشبهات والأباطيل، ج2 (حول ما توهم من أخطاء لغوية في القرآن الكريم، تنسيق جمال فوزي محمد، ص310).

هي اسم إلياس هذه الأخيرة مرسومة في المصاحف كلّها على قطعتين (إل ياسين) ولا منافاة بينها وبين القراءتين والأرجح أنّ المراد بإلياسين أنصار إلياس الذين اتّبعوه وأعانوه¹.
توصّلنا من خلال كل ما سبق إلى أنّ الآية صحيحة لا يشوبها أي خطأ بحيث إنّ كل الادّعاءات مدرجة قواعد اللّغة العربيّة.

د-الإفراد مكان التثنية :

حيث أعاب المشركون إتيان القرآن بضمير المفرد للدلالة على التثنية في قوله تعالى:
﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[التوبة،62]

والمشككون هنا استنكروا عدم تثنية الضمير العائد على الله ورسوله، فالأجدر _حسب ظنهم أن تكون (أحق أن يرضوهما)، وما اعتبروه خطأ يرجع مرده إلى أنّ إفراد الضمير هنا راجع إلى خصوصية الحديث عن الله، فإرضاء الرسول هو من إرضاء الله، فرضا الله مقصود في ذاته بينما رضا الرسول تابع لرضا الله، فالأولى عدم ذكر أي اسم آخر مع اسم الله عز وجل والواجب إفراده وعدم إشراكه في أية صفة .

أما سيبويه فقد ذهب إلى التفسير النحوي لهذا الموضوع وفق ما عرفتّه العرب قديماً بالاكْتفاء بأحد المذكورين فالأجدر قول (والله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك) هنا حذف أحد الخبرين لدلالة الثاني عليه².

2-العدول في صيغ الجنس والزمن:

أ-تذكير المؤنث:

¹ - المرجع السابق، ص312.
² - منقذ بن محمود الصّقار، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطنين، رابطة العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، 2009، ص225.

زعموا وجود أخطاء في القرآن حيث ذُكر المؤنث في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى، 17]

فقال في حديثه عن (الساعة) قريب ولم يقل (قريبة) وهي مؤنثة، ويرجع ذلك إلى جهلهم بقواعد العربية وبما تجيزه العرب، فالعرب تجيز التسوية بين المذكر و المؤنث في خمسة مواضع (أوزان) وهي فعول، مفعال، مفعيل، مفعِل، فعيل لذا فزعمهم باطل لا أساس له من الصحة وناتج عن جهلهم¹.

ب-التعبير عن الماضي بصيغة الحاضر:وردت الكثير من الشبهات في ما يخص موضوع تباين الأفعال والتي من بينها قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [أل عمران، 59] .

فزعموا أنّ الفعل يكون الذي جاء بصيغة المضارع وجب وروده صيغة الماضي وصوبوه بقولهم «كن فكان» .

بما أنّ الشبهات تعددت فوجوه الرد تعددت هي الأخرى لتكون صدا ، فنجد في الآية الواحدة ألف دليل على صحتها كما هو الحال في الآية سابقة الذكر حيث قال "الزمخشري" فيكون هي حكاية حال ماضية وقال "الرازي" «واعلم يا محمد أنّ ما قال له ربه كن فإنه يكون لا محالة أي المستقبل يكون في موضع الماضي إذا عرف المعنى (المقصود) « وإنّما يعبر العرب عن الماضي بالآتي كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصدا لاستحضاره في الذهن² .

ويعد العدول عن اللفظ إلى غيره سر بلاغي يجسد لنا المشهد حال وقوعه ، فالآية التي بين أيدينا كانت عبارة عن وصف للحالة التي يصبح بها الانسان انسانا من تراب إلى

¹- بدر الدين بن جماعة، كشف المعاني، تحقيق محمد محمد داود، دار المار للطبع و النشر و التوزيع، مصر، القاهرة، ط1، د.ت، ص57.

²-أحمد بن سليمان أيوب، موسوعة محاسن الإسلام، ص6863.

تشكيله على هيئته التي هو عليها ، كما جاءت الصيغة مضارعة بدلا من صيغة الماضي دلالة على تجدد الخلق واستمراره في ذرية آدم وإثارة لذهن الانسان¹ وقد ثبت في القرآن ثم الدراسات العلمية الحديثة أن خلق الانسان يمر بمراحل حيث قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر، 67]، وتكون هذه المراحل في فترة زمنية معينة.

وجاء في تفسير الآية أن فعل الأمر (كن) هو تعبير عن تكوين عيسى عليه السلام حتى يعلم السامعون أن هذا التكوين ليس بصنع اليد ولا نحت آلة ولكنه إرادة وقدره على تسخير الكائنات حتى تلتنم وتتدفع فلو أولنا الآية لأصبحت (كم من تراب ثم أحياء) ليكون لاستحضار صورة تكوين ولا يحمل المضارع في مثل هذه المواقف إلا على المعنى.² من خلال مرورنا بوجهات النظر السابقة نجد أن كل من تفسير الآية وتحليلها يتفقان على صحتها وأن العدول في الصيغ لا يأتي عبثا وإنما لضرورة يفرضها كل من التركيب والدلالة.

ثانياً: الرد على الانتقادات النحوية:

الشبهات النحوية هي التباس باطل قيل في حق الآيات القرآنية في جانبها النحوي وذلك ضمن الضوابط التي تحكم التراكيب والحركات الإعرابية بحيث أوردتها المشككون على أنها إخلال لما تقتضيه العربية وخروج عن قواعدها المتواضع عليها والتي من بينها:

1- انتقادات في المطابقة:

1-1 عدم المطابقة العددية والتنوعية بين الصمير وما يعود إليه:

¹ - محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص80.

² - محمد بن محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، التحرير والتنوير، دار التونسية، تونس، د.ط،

تعدّدت الأمثلة حول تمايز الضّمير مع عائده لدى المشكّكين والتي من بينها: قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة، 17]

ادّعى المشكّكون في هذه الآية أنّ الضّمير (هم) في كلمة (بنورهم) جمع عاد على مفرد (الذي استوقد) وصوّبه بقولهم (ذهب الله بنوره وتركه في ظلمات لا يبصر) ،ومردّا لقولهم هذا نجد أنّ من ألقى الشّبهة لم يمعن النّظر في نظم الآية حيث إنّ كل من:

- كلمة مثل تفيد الجمع (قد تطلق عن المفرد أو الجمع).

- كلمة الذي اسم موصول يستعمل لكلّ من المفرد والجمع معا فهو مفرد لفظا، جمع معنى لذلك أفرد حملا على لفظه في أول الآية وأجمع في آخرها حملا على معناها¹.

ومن جهة أخرى نجد أنّ التفسير يحيلنا إلى أنّ تفاصيل الآية طرحت صفات المنافقين بتصوير مجموعها في صورة واحدة بتشبيه حالتهم بهيئة محسوسة وهذا ما يسمّى تشبيه تمثيلي أي تشبيه هيئة بهيئة (صورة بصورة) فالذي استوقد النّار مفرد ولا معنى لاجتماع جماعة على الاستيقاد ولا يريبك كون حالة المشبه حالة جماعة من المنافقين، فهذا التشبيه بين صورتين كاملتين ولا علاقة للجمع والإفراد داخلهما، فشبه الله حال المنافقين في ظهور أثر الإيمان تارة وغيابه تارة أخرى بحال الذي يوقد النّار ثم تنطفئ².

وفي جانب آخر فإنّ الذي استعملت للتوحيد فكّل المنافقين في مقام واحد والجمع الذي وقع في آخر الآية ما هو إلّا دلالة على حالهم وخضوعهم لنفس الحكم أي تركهم جماعة في الظلمات دون استثناء³.

¹ - محمد داوود، كمال اللّغة القرآنيّة، ص39.

² - ينظر : ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، دار التّونسية، 1984، دط، ص332/337.

³ - عبد الرّحمان دمشقيّة، الردّ على شبهات حول أخطاء إملائيّة في القرآن الكريم، دار المسلم، الطبعة الأولى، 2002م، ص18.

كانت الآية عبارة عن تشبيه تمثيلي وافق القواعد النّحويّة باستعمال الحالات المستثناة منها فجاء بذلك المعنى موافقا لما يقتضيه العرف اللّغوي ولا وجود لأية مخالفة فيه، وينطبق الأمر على عدّة آيات مثل الآيتين: 36 و 92 من سورة التّوبة.

توهم المشكّكون أيضا وجود تباين نوعي في قوله الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِِدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب، 33].

حيث ادّعوا عودة الضمير المتصل كم في كلمة يطهركم (جمع مذكر) على المؤنث (أهل البيت) ظنا منهم أن كلمة أهل البيت يقصد بها نساء الرّسول، وهذا خطأ فأهل البيت هم (النبي ﷺ، وعلي بن ابي طالب، الحسن، الحسين، فاطمة الرّضاء، أمهات المؤمنين) وعلى هذا فشمّل الخطاب المذكّر والمؤنث والمعروف أنّ اجتماعهما يؤدي لغلبة المذكّر¹.

1-2- عدم المطابقة العدديّة والنوعيّة بين المبتدأ والخبر:

من بين الآيات التي استوقفت المشكّكين في ما يخص المبتدأ والخبر قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِي﴾ [الحجر، 68].

فكان ادّعائهم وجود مخالفة عدديّة ضمن الآية بحين جاء المبتدأ اسم إشارة جمع بينما أفرد الخبر وصوّبه بقولهم «هؤلاء ضيوفي» مطبقين بذلك قاعدة المطابقة العدديّة بين أركان الجملة (المسند والمسند إليه) والأصل في القاعدة أن يتوافق كل منهما في التذكير والتأنيت والإفراد والتثنية والجمع ، لكن الحالات المستثناة من القاعدة والتي غفل عنها المشكّكون هو وقوع الكلمة خبر زيادة على ذلك أنّها مصدر وهذا الأخير إذا وقع خبر وجب تذكيره وإفراده².

¹ - محمد داوود، كمال اللّغة القرآنيّة، ص50.

1- موسوعة الإسلام في مواجهة الشّبهات والأباطيل، حول ما توهم من أخطاء لغويّة في القرآن، ص217.

وتكملة للاستثناءات فإنّ كلمة ضيف تعدّ من بين الحالات التي تستعمل للجمع والمفرد إلى جانب كل من كلمة خصم وعدو¹، وقد وقعت مثل هذه الحالات في مواضع كثيرة من القرآن من بينها:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِغَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون، 4]
وقوله أيضا: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج، 19].

ولم يكتف المشكك بأمثلة المطابقة العددية حيث انتقل إلى توهم بروز ظاهرة تأنيث المذكر وتذكير المؤنث مستشهدا بجملة من الأمثلة من بينها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف، 56] وقوله أيضا: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب، 63] وفي موضع آخر: ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل، 18].

فظهرت صيغة التأنيث على المبتدأ وخالفها الخبر بالتذكير، وإذا جئنا لتكذيب هذا الادّعاء كان لا بدّ من الاستشهاد بقول "ابن جنّي" في باب الحمل على المعاني: «اعلم أنّ معنى هذا الكلام أنّ تذكير الخبر في الآية حمل على المعنى والسّماء هنا يقصد بيها السّقف وذلك لقوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء، 32].

بينما للمثاليين الأوّلين عدّة تأويلات كانت سبب في هذا التّباين والتي فسّرت ب:

- 1- إنّ الآيتين حمّلتا على المعنى .
- 2- إنّ المقصود بالرحمة (الغفران) وهما واحد، فيأتي بذلك تذكير الخبر حملا على الغفران فيكون تأويل الآية أنّ غفران الله قريب من المحسنين.
- 3- قد تؤوّل كلمة الرحمة بالرحم فذكر الخبر على هذا الأساس.
- 4- قد يقصد بكلمة قريب (النسب) أي ذات قرب.

2- محمد داوود، كمال اللّغة القرآنيّة ، ص45.

5- وقيل إنَّ الاسم إذا وصف بمصدر تساوى فيه الجمع والإفراد والمذكر والمؤنث فيجوز التعبير بأحدهما عن الآخر¹.

تخرج الآيات المشكك بها إلى الصّحة وذلك طبقاً لما يقتضيه العرف اللّغوي وما توصلنا إليه من تخريجات وتأويلات والتي كثيرا ما جاءت مراعية للمعنى.

1-3- عدم المطابقة العددية والنوعية بين النعت والمنعوت:

يتوهم بعض المشككون أنّ القرآن قد خالف القواعد النحوية في تباين كل من الصّفة والموصوف في العدد مستشهدين بجملة من الأمثلة من بينها قوله تعالى: ﴿قُلْ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران، 15].

حيث أفرد الوصف «مطهرة» وأجمع موصوفه «أزواج» والصواب في زعمهم أن يقال أزواج مطهرات .

وردّا على زعمهم الذي غلب فيه الجهل والسطحية التي غطت على صحة الآية، هاته الأخيرة التي استعمل فيها جمع التفسير والذي يجوز أن يعامل معاملة المفرد المؤنث كما يجوز أن يعامل معاملة جمع المؤنث السالم حيث أنّ جمع التفسير إذا أريد به الكثرة جاء على صيغة واحدة وإذا أريد به القلة جاء على صيغة جمع المؤنث السالم وبالتالي فالوجهان صحيحان².

وجاء في افتراء آخر لهم حول قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه، 51]، حيث زعموا عدم مطابقة النعت للمنعوت فجاء المنعوت جمعا في حين خالفه النعت بمجيئه مفردا والصواب في زعمهم أن يقال القرون الأوائل.

¹ - أحمد بن سليمان أيوب، موسوعة محاسن الاسلام 6775.

² - محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص48.

تتص القاعدة اللغوية أنّ المنعوت إذا جاء جمع التفسير لغير العاقل يجوز في نعته المطابقة أو عدم المطابقة وهذا ما جاء في الآية الكريمة حيث ورد المنعوت جمع تكسير (القرون)¹، وجاز أيضا أن تحيى الآية كآلاتي (القرون الأوليات) وهذا من الأمور الشائعة في الاستعمال اللغوي وهنا نصل إلى صحة الآية وعدم خروجها عن إطار التّقييد. كما زعم المشككون أنّ قوله تعالى: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مِّثْلَ كَذَلِكَ الْخُرُوجِ﴾

[ق، 11]

فيه مخالفة لقاعدة اتباع النعت للمنعوت من ناحية النوع فقالوا أنّ كلمة بلدة جاءت مؤنثة فوجب بذلك تأنيث الصفة التي تليها وكان صوابها في نظرهم أن يقال (بلدة مية). والرد هو أنّه في لغتنا ما يشابه المصدر يأخذ حكمه في بقائه على لفظه للمذكر أو المؤنث ومن ذلك كلمة ميّت فهي على وزن من أوزان المصدر وهو (فعل)². وللاية عدّة أضرب :

أولها أنّ لفظة بلدة تدل على البلد أو المكان فباتباع قاعدة الحمل على المعنى يمكن وصفها بالمذكر وهي مؤنث مجازي فقط فيجوز الوصف أو الإخبار عنها بالمذكر أو المؤنث على حدّ سواء.

وفي مثال آخر جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة، 6]. والذي اعتبر فيه المشككون أنّ كلمة صرصر مذكر ولا يمكن وصفها بالمؤنث. إذا جئنا إلى معنى كلمة صرصر نجدها تدل على الريح العاصفة التي تكون لها صرصرة كما تعتبر كلمة الريح من بين الكلمات المؤنثة لفظا³.

¹ - جماعة من المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشبهات والأباطيل، ج2 (شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية في القرآن، تنسيق جمال فوزي، ص 246.

² - محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص 55.

³ - جماعة من المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشبهات والأباطيل، ج2 (شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية في القرآن الكريم)، تنسيق جمال فوزي، ص 331.

وبالتالي لا جدوى من تأنيثها بالتاء كما هو الشأن في كلمة صرصر فهي مختصة بال مؤنث ووصفها به أمر غير مخالف لقواعد اللغة العربية وبالتالي فإن الشبهات ضدها باطلة.

1-4- توهم عدم المطابقة العددية والنوعية بين الحال وصاحبها:

زعم المشككون وجود مخالفة عددية بين الحال وصاحبها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج، 6].

بحيث خرجت عن ما عهده النحو فجاء الحال مفردا (طفلا) في حين جاء صاحبه (نخرجكم) على صيغة الجمع وصوبوه بقولهم «نخرجكم أطفالا» .

ردّ الدكتور "محمد داوود" في كتابه (كمال اللغة القرآنية) نافيا الشبهة حيث قال أنّ كلمة طفل من بين الكلمات المستثناة التي جرى استعمالها للجمع والإفراد معا وأنّ قاعدة المساواة العددية تستثني بعض الكلمات مثل طفل، خصم، عدو.....ووردت كلمة طفل مفردة في عدّة مواضع من بينها: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر، 67] وأرادوا بالطفل الذين لم يبلغوا الحلم، في حين استخدمت كلمة أطفال مرّة واحدة في القرآن و كان القصد منها الذين بلغوا الحلم¹. وفي وجه آخر أجمع عدّة علماء على أنّ كلمة طفل في هذه الآية يمكن تفسيرها إلى ثلاثة دلالات:

أولها: دلالتها على الجنس أي نخرج كل واحد منكم طفلا والجنس هنا بمثابة الجمع.

ثانيا: دلالتها على المصدر والمصادر لا تجمع

¹ - محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص 44.

ثالثاً: دلالتها على الجمع. لماذا؟ لأنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يبيّن للنّاس أنّ كل واحد منكم سيأتي منفرداً كما خلّقه والخطاب للجميع بمنزلة المفرد وجرى في كلام العرب إذ قالوا جاءني القوم مثني وهم مائة ألف كان المعنى أنّهم جاؤوه اثنين اثنين¹. ومن كلّ هذا نتوصل إلى أنّ ألفاظ القرآن دقيقة ولم توضع عبثاً فذلك التّلاعب في الصّيح يشير إلى الفروقات الدّلالية التي تتدرج ضمن الأسرار البلاغية للغة القرآنية. ولقد تعرّض الحال إلى جملة من الافتراءات مسّت جانبه النّوعي فكانت هناك العديد من الأمثلة الشّاهدة على ذلك التي من بينها قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ [الأنعام، 6]

بحيث ظنّ المشكّكون مخالفة الحال لصاحبه فجاء الأول مذكّر والثاني مؤنّث وقد جهل صاحب الشبهة أنّ صيغة مفعول يستوي فيها كل من المؤنّث والمذكّر فالعرب تقول ناقة مغمار إذا كان من عادتها أن يحمرّ لبنها من داء، وناقة مخراط إذا كان من عادتها أن تخرط أي يخرج لبنها منعقداً².

وبهذا فالآية التي بين أيدينا صحيحة ولا يشوبها أي خلل وإنّما هذا الافتراء جاء نتيجة قراءة سطحية للقاعدة الأساسية دون النّظر المتمعن في خباياها أو الجانب المظلم منها الذي تخرج فيه عن قاعدة المساواة لتدخل ضمن القاعدة الاستبدالية للصّيح والتّعبير بها عن بعضها البعض دون مخالفات.

1-5- عدم المطابقة العدديّة بين الاسم الموصول وما يعود إليه:

مع كثرة الشّبهات وانتقالها بين مظاهر اللّغة المختلفة فقد كان لاسم الموصول نصيب منها، ففي قوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الذِّي لَمْ يَضْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور، 31].

¹ - جماعة من المؤلّفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشّبهات والأباطيل، ج2 (شبهات حول ما توهم من أخطاء لغويّة في القرآن، تنسيق جمال فوزي محمّد، ص266.

² محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص56.

ادّعى المشكّكون مخالفة الآية لقاعدة المساواة العددية في استعمال الاسم الموصول جمعا وعائده مفردا والصّواب في نظرهم أن يقال (والطفل الذي لم يظهر على عورات النساء) وذلك من أجل تحقيق المطابقة العددية بين الاسم الموصول وموصوفه (عائده)¹. كما ذكرنا من قبل أنّ كلمة طفل من بين الكلمات المستثناة وورودها في القرآن بهذه الصيغة إنّما القصد منه الجنس واشتراك الأطفال في الغرائز فلا يلاحظ الاختلاف بينهم، إضافة لذلك فكلمة طفل توحى بالصّغر ممّا يؤكد لنا المقصود منها². وجاء في مثال آخر قوله تعالى: ﴿وخصتم كالذي خاضوا﴾ [التوبة، 69] فكان نظرهم أن يقال وخصتم كالذين خاضوا.

ورّدا على هذا الافتراء نعود إلى التفسير الذي يقول إنّ الآية عبارة عن تشبيه لخوض المنافقين بخوض الذين سبقوهم (أي خصتم بنفس الباطل الذي خاضوا فيه الذين من قبلكم) وجاء الاسم الموصول مفردا وعائده جمع مؤوّلة بالفريق بحيث يجوز أن تكون تخفيفا على لغة هذيل وتميم وقد نكره أهل البصرة في القرآن وجوّزوه في الشعر على عكس أهل الكوفة الذين جعلوه جائزا ويقول "الفراء" إنّ (الذي) يكون موصول حرفيا مؤوّلا لمصدر والمصادر لا تجمع واستشهد له بنفس الآية³ وقد جرى في كلام العرب هذا النوع من التأويل ففي قول جميل:

أَتَفَرَّحُ أَكْبَادُ الْمُحِبِّينَ كَالَّذِي أَرَى كَبْدِي مِنْ حُبِّ مَيَّةٍ تَفَرَّحُ⁴

¹ - جماعة من المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشبهات والأباطيل ، ج2(شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية

في القرآن، تنسيق جمال فوزي محمّد ، ص277.

² - محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص51.

³ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص3885.

⁴ - أحمد بن سليمان أيوب، موسوعة محاسن الإسلام، ص6800.

كما تعدّ الآية التي بين أيدينا سلسلة من التشبيهات توحدت فيها أزمنة الأفعال وترابطت بحروف العطف: (فاستمتعتم كما استمتع) و (فخضتم كالذي خاضوا) والتي جاءت وفقا لما استوجبه السياق اللغوي والنحوي¹ من خلال كل ما سبق نخلص أنّ الآية صحيحة معنا ولفظا وأنّ ذلك الانتقال بين صيغة الجمع في الأفعال وغيابها في الأسماء كان ضرورة دلالية أكثر منها تركيبية حتّى تصل الآية للدقة التي هي عليها الآن.

1-6- عدم المطابقة العددية بين التمييز والمميز:

من بين الأمثلة التي أدرجها المشككون في موضوع التمييز قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف، 25]

فقد ظنّوا وجود مخالفة للقاعدة النحوية وتباين عددي بين المميز والتمييز حيث جاءت ثلاث مائة بصيغة المفرد في حين أجمع تمييزها (سنين) فيقال ثلاث مائة سنة، لكن حقيقة القاعدة تتكر وجود تمييز في الآية وإنّما هي عطف بيان بتتوين ثلاث مائة ويكون تقديرها بذلك فلبثوا في كهفهم سنين ثلاث مائة فالكلمة هنا فسّرت العدد²، وهذا ما وجد في تفسير "الزّازي" حيث قال: «إنّ سنين عطف بيان لقوله ثلاث مائة لأنّه لمّا قال ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ لم يعرف أنّها أيّام أم شهور أم سنون فلمّا قال سنين صار هذا بيانا»³.

أمّا الأمر الثّاني فهو جريان كلمة سنين مكان سنة في كلام العرب فقد تناولت عدّة قراءات من بينها الكسائي والأعمش والأصبهاني كلمة ثلاثمائة بدون تتوين وإضافة سنين إليها وتفسير الآية عند "ابن عاشور" أكد أنّ تمايز القراءات كان سبب في التّضليل حيث

¹ - محمّد داوود، كمال اللّغة القرآنيّة، ص 51.

² - محمد داوود، كمال اللّغة القرآنيّة، ص 44.

³ - الزّازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، الطبعة الثّالثة، ج 20، 1420هـ، ص 3695.

قال: « فقرأ كل من حمزة والكسائي وخلف بإضافة مئة إلى سنين على أنه تمييز للمائة وقد جاء جمع وهو نادر لكنه فصيح وخالفه آخرون فقرأوه ثلاث مائة وانتصب سنين على البدلية من اسم عدد وهذا رأي من يمنع مجيء تمييز المائة منصوبا لكنه تمييز عند من يجيزه¹. من خلال التقصي السابق توصلنا إلى تعدد القراءات أنتج لنا ما يسمّى بالتّخرجات اللّغوية (تعدّد الاعراب للكلمة الواحدة، وبذلك نقول أنّ الآية التي بين أيدينا لا يشوبها أي خلل فهي صحيحة ضمن جميع وجهات النظر ما دامت لم تخرج عن القاعدة النّحوية.

1-7- عدم المطابقة النوعية بين العدد والمعدود:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف، 160] فادعى المشككون وجود تباين في التذكير والتأنيث في هذه الآية ف قيل وجب تذكير العدد اثنتي عشرة بحيث يصبح اثني عشر وإفراد أسباطا وصوبوه كآلاتي اثني عشر سبط (إفراد التمييز).

وردا على قولهم نعود إلى أصل القاعدة التي تقول أنّ تمييز العدد المركّب يأتي مفردا منصوبا موافقا لمعدوده لكن لو نظرنا إلى الآية للوهلة الأولى لظننا مخالفتها للقاعدة وفسّر النّحاة هذا بأنّ الآية تحمل على المعنى فكلمة أسباط يقصد بيها فرقة أو قبيلة ومنه فالأصل فيها التّأنيث فجاء المميز (اثنتي عشرة) مركباً وموافقاً للمعدود.

وقيل في رأي آخر أنّ تأنيث العدد ذهب إلى كلمة أمما، ليست أسباطا وبالتالي وجب فيها التّأنيث، وهناك من رجّح أنّ كلمة الأسباط لم تكن تمييزاً وإنّما بدل من عدد ونوعه بدل كل من كل والتمييز هنا محذوف ولو أولناها لأصبحت (اثنتي عشرة فرقة)².

¹ - ابن عاشور، التّحرير والتّوير، ص 5413.

² - جماعة من المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشّبهات والأباطيل، ج2 (شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية في القرآن الكريم)، تنسيق جمال فوزي، ص 151.

من خلال ما سبق توصلنا إلى انسجام ألفاظ القرآن والقواعد النحوية حيث اعتنت هذه الأخيرة بتفسير كل ظاهرة يراها المشككون إخلال لما يقتضيه الوضع النحوي، وهو سليم في الحقيقة وبالتالي تذهب الآية التي بين أيدينا إلى الصحة.

1-8- عدم المطابقة النوعية بين الفعل والفاعل:

جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة، 275]، توهم المشككون أن الآية مخالفة لما عهده ركنا الجملة الفعلية من مساواة في النوع فكان الفعل مذكراً في حين خالفه الفاعل بمجيئه مؤنثاً وصوبوا هذا بقولهم (فمن جاءته موعظة من ربه).

ويوجد بعض الكلمات في العربية مؤنثة مجازياً، ولما كانت كذلك جاز لفعلها التذكير والتأنيث فهما على حد سواء، ومن ذلك كلمة موعظة ويكون هذا في ثلاث حالات:

- أن يكون الفاعل مجازي التأنيث ظاهراً.
 - أن يكون الفاعل جمع تكسير.
 - وجود فاصل بين الفعل والفاعل.¹
- وفي رد آخر قيل أنه لا يجب تأنيث الفعل إلا في حالتين هما :
- أن يكون الفاعل ضميراً.
 - أن يكون الفاعل مؤنثاً حقيقياً متصلاً بالفعل غير منفصل عنه.
- أمّا إذا كان الفعل والفاعل منفصلين فأنت مخير بين التذكير والتأنيث، والفاعل هنا وقع مؤنثاً مجازياً أي يجوز فيه الوجهان وإن لم يفصل بينهما فاصل.

¹ - المرجع نفسه، ص 62.

ويوجد عدّة أمثلة جاء بها المشككون من هذا النوع من بينها قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف، 30] وقوله أيضا: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود، 67].¹

توصلنا من خلال التّقصي السابق أنّ المساواة النوعيّة بين الفعل والفاعل هي القاعدة الأصل تتقرّع عنها فروع يلزمها التّركيب النّحوي وتظلّ صحيحة ما دامت لم تخرج عن دائرة العرف اللّغوي ولم تحدث إخلال بالمعنى وبالتالي فكل الآيات التي مرت صحيحة.

2- انتقادات في الإعراب:

2-1- نصب الفاعل ورفع المفعول به:

استدل المشككون بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة، 124] حيث ادّعوا أنّ كلمة إبراهيم فاعل وجاءت منصوبة وهذا خروج عمّا عهده الفاعل ، كما جاء المفعول به في نظرهم مرفوعا (ربه) وصوبوه بقولهم وإذا ابتلى إبراهيم ربه.

ومردّا على افتراءهم الطّاعن الذي نسوا فيه التّنبيه إلى ظاهرة التّقديم والتّأخير في العربيّة الناتجة عن ضرورة بلاغيّة توجز التّلاعب بالألفاظ شريطة اقتران المتأخر بضمير يعود على المتقدّم وهذا ما حصل في الآية حيث تقدّم المفعول به (إبراهيم) وتأخّر لفظ الجلالة مقترنا بالهاء التي تعود على المفعول به.

وقد جاء التّقديم والتّأخير لضرورة بلاغيّة تفيد الاهتمام بمن وقع عليه الفعل من أجل الاقتداء به في الامتثال لأوامر الله.²

¹- محمد داوود، كمال اللّغة القرآنيّة، ص57.

²- المرجع السابق، ص63.

ويقدم لنا تفسير الآية وجهة نظر أخرى تمثلت في كون الابتلاء يكون من الله سبحانه وتعالى وهذا أمر مفروغ منه لدينا وبالتالي يكون إبراهيم مفعولاً به مقدّم وربّه الفاعل مؤخر¹.
ويؤكد لنا الإعراب صحّة الأقوال السابقة:

الواو: استئنافية.

إذا: ظرف لما يستقبل من الزّمن في محل نصب مفعول به فعل محذوف تقديره اذكر.
ابتلى: فعل ماض.

إبراهيم: مفعول به مقدّم

ربّه: فاعل مؤخر².

وبالتّالي فكل من الإعراب والتّركيب والبلاغة تتفق على صحة الآية وخلوها من الشّبّهات.

2-2- نصب المضاف إليه:

افتري المشكّكون على قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ [هود، 10]

وذلك بادّعائهم أنّ كلمة ضراء خالفت قواعد العربيّة في حركتها الإعرابيّة والتي وجب أن تكون جراً للمضاف إليه بعد الظرف ولكن صيغت على النّصب وهذا خطأ وصوبوه بقولهم بعد (ضراء) ولكن الصّواب هو العكس، أي عدم تنوينه لأنّه ممنوع من الصّرف³.
يعد الإعراب خير دليل على صحة الآية حيث:

الواو: حرف عطف.

اللام: موطئة للقسم ولا يجوز أن تكون للابتداء لأنّها دخلت على إن التي هي للجزاء.

¹ - عبد الجليل الشّلبي، رد على مفتريات المبشرين على الإسلام، مكتبة المعارف، الرّياض، الطّبعة الثّانية، 1985، ص169.

² - محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد، سوريا، ط4، 1415هـ، ص176.

³ - محمد داوود، كمال اللغة القرآنيّة، ص70.

إن: حرف شرط جازم.

أدقناه: أدقنا: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل شرط، نا: فاعل،
والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به.

نعماء: مفعول به ثان.

بعد: ظرف متعلق بمحذوف صفة لنعماء.

ضراء: مضاف إليه منع من الصرف لانتهائه بألف التأنيث الممدودة¹

وفي رد آخر قيل إنّ الأصل في الأسماء أن تكون متصرفة أي منونة وتمنع من
الصرف أي التثوين إذا وجد فيها مانع من الموانع التي وضعها النحاة للتمييز بين المتصرف
وغير ذلك، فوقع في الآية التي بين أيدينا أحد موانع التصرف وهو التأنيث لذلك نصب
المضاف إليه².

نخلص من خلال ما سبق أنّ المشكك جاهل بأصول النحو والإعراب فمن دقة
التعليقات اللغوية أنّها أعطت لكل ظاهرة مهما صغرت تفسير.

2-3- نصب المعطوف على المرفوع:

جاء في قوله تعالى ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك
وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك
سنؤتيهم أجرا عظيما﴾ [النساء، 162].

¹ - محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ص 1994.

² - أحمد بن سليمان أيوب، محاسن الإسلام، ص 6839.

ادّعى المفترون في هذه الآية وجود خطأ إعرابي في ظاهرة العطف حيث تمّ نصب كلمة المقيمين والتي عطفت في نظرهم على "المؤمنون" فكان من الواجب رفعها أيضاً¹. للعرب عدّة ظواهر يتخالف فيها المعطوف عن المعطوف عليه في التّركيب ذاته ومن بينها ما يسمّى نصب الاختصاص وهذا ما حصل في الآية (نصب الاختصاص على المدح) معنى ذلك مخالفة الكلمة لإعراب ما قبلها بقصد المدح أو الذّم ويقول الزّمخشري معلّلاً هذا بأنّ كلمة المقيمين هي نصب على المدح لبيان فضل الصّلاة².

وجاء في (إعراب القرآن) أنّ الواو معترضة والمقيمين نصب على المدح بإضمار الفعل لبيان فضل الصّلاة على ما قاله سيبويه وغيره والتّقدير (أخص المقيمين للصّلاة على الوجه الكامل فإنّ لهم الأجر بالرسوخ في الايمان) والنّصب على المدح لا يأتي في الكلام البليغ إلّا لنكتة والنّكتة هنا هي فضل الصّلاة³.

2-4- رفع المعطوف على المنصوب:

ادّعى المشكّكون وجود تباين إعرابي ضمن النّسق العطفي حيث خالف المعطوف عليه واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَ النَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة، 69].

حيث تمثّل هذا الخلل في رفع كلمة معطوفة (الصّابئون) على كلمة منصوبة (الذين) وكان الصّواب في نظرهم أن يقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ».

لقد اختلفت وجهات انّظر في هذه الآية فمنهم من قال إنّ الصّابئون مرفوعة بالابتداء لخبر محذوف أي وضع المبتدأ موضع التّأخير ولو قدرناها لأصبحت « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى

¹- عبد الرحمان دمشقية، الرد على شبهات حول أخطاء إملائية في القرآن، دار المسلم، الطبعة الأولى، 2003م، ص18.

²- أحمد بن سليمان أيوب، موسوعة محاسن الإسلام، ص6767.

³- محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ص939.

كذلك»¹ كما وافق "الدكتور محمد داود" هذا بقوله: «وجمهور المفسرين قدّروا قوله تعالى الصابئون مبتدأ وجعلوه مقدّما من تأخير وقدّروا له خبرا محذوفا لدلالة خبر إنّ عليه وأن أصل النظم (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى لهم أجرهم إلخ، والصابئون كذلك)² . وجاء التفسير برأي آخر وهو جعل خبر إنّ محذوف وهذا الحذف وارد في الكلام الفصيح غير قليل ، كما ذكر سيبويه في كتابه وقد دلّ على الخبر ما ذكر بعده من قوله تعالى (فلهم أجرهم عند ربهم) ويكون قوله تعالى (الذين آمنوا) عطف جملة على جملة فيجعل (الذين هادوا) مبتدأ وبذلك حق رفع (الصابئون) وهذا أولى من جعلها مبتدأ³. كما كان الإعراب تعبيرا عن الصّحة من زاوية أخرى :

إنّ الذين: إنّ واسمها.

آمنوا: صلة الموصول.

هادوا: عطف على الذين آمنوا.

الواو: استئنافية.

الصابئون: رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية التأخير به.⁴

من خلال التحليل السابق وما شهدناه من أراء متضاربة حول الآية نجد أنّها صحيحة ولا يشوبها أي خلل إعرابي فكل زوايا النّظر وإن اختلفت تصب في صميم الصّواب.

2-5- رفع اسم إنّ:

شكك المنتقدون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [طه، 62] بحيث قرأ المفكرون (إن) مشددة إنّ واو ذهبوا إلى المصحف لوجدوا إنّ مخففة بالسكون فيكون اسم هذه الأخيرة

¹ - جماعة المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشبهات والأباطيل، ج2 (شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية في

القرآن، تنسيق جمال فوزي محمد ،ص103.

² - ينظر إلى محمّد داود، كمال اللغة القرآنية، ص67.

³ - ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ص2364.

⁴ - ينظر محي الدين الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه، ص1073.

ضمير محذوف ويسمى ضمير الشأن في حين يأتي خبرها جملة وهي هنا (هذان لساحران) واللام المؤكدة في خبرها فتميزها عن إن النافية ولا تحذف إلا لقرينة لفظية أو معنوية¹، وقد جاء في إعراب الآية ما يلي :

إن: مخففة من الثقيلة ومهملة

هذان: اسم إشارة للمثنى في محل رفع مبتدأ.

اللام: الفارقة.

ساحران: خبر هذان مرفوع وعلامة رفع الألف².

2-6- جزم الفعل المعطوف على المنصوب:

يتوهم بعض المغالطين أن القرآن قد خالف الصواب في عودة المعطوف على ما قبله ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب ليأخرني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾ [المنافقون:63].
متسائلين : كيف جزم الفعل (أكن) وهو معطوف على فعل منصوب (أصدق)؟ وكان الصواب في ظنهم أن يقال (وأكون) ذلك لأنه معطوف على منصوب.
بعد الاطلاع على الآية تبين لنا بطلان الشبهة وذلك من خلال وجهتين:
أولهما: أن الفعل (أكن) معطوف على محل (فأصدق) فكأنه قال إن أخرتني أصدق وأكن

ثانيهما: لم يسبق بقاء السببية التي تعمل على نصب الفعل المضارع بل هو جواب شرط للطلب مباشرة.

بحيث أراد الله سبحانه وتعالى من الآية إثارة التمني إلى الشرط الصحيح وهذا وجه من أوجه الإعجاز القرآني البلاغي الذي يتفق هنا وحالة قائلها أثناء موته إذ يتمنى أن

¹- عبد الجليل الشلبي، الرد على مفتريات المبشرين في الإسلام، ص169.

² - ينظر محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ص3020.

يؤخره الله ليتصدق ويكن من الصالحين فهو تبادل صيغ وإحلالها محل بعض لضرورة بلاغية¹.

خلاصة الفصل:

مست شبهات منتقدي لغة القرآن عدّة جوانب صرفية ونحوية، حيث تمثّلت الشّبهات الصرفية في العدول في صيغ العدد (الجمع المذكر السالم، الجمع المؤنث السالم، جمع التّكسير بنوعيه سواء قلّة أو كثرة) والعدول في صيغ الجنس والزّمن شاملة هذه الأخيرة كل من تذكير المؤنث والتّعبير عن صيغة الفعل الماضي بالحاضر. وتمثّلت الشّبهات النحوية في انعدام المطابقة شاملة الضّمائر ما تحيل إليها والتّوابع (تمييز، نعت، حال...) وما تتعبها. كما تمثّلت الشّبهات في الحركات الإعرابية من رفع في غير محلّه أو نصب أو جزم.

¹ - جماعة من المؤلّفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشبهات والأباطيل، ج2 (شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية في القرآن)، تنسيق جمال فوزي محمد، ص350.

حيث تمّ الردّ على هذه الشّبهات بحجج منطقيّة لغويّة واسعة.

الفصل الثّاني: الردّ على الانتقادات التّركيبية والمفرداتية.

1- الردّ على انتقادات التّراكيب.

2- الردّ على انتقادات المفردات.

تمهيد:

كما تطرّق منتقدو لغة القرآن للجانب الصّرفي والنّحوي بأدقّ التفصيل تطرّقوا أيضا لما هو أكبر من مستوى الكلمة إلى الجملة بجانبها (البنوي، المعنوي) فلامسوا مستواها الإفرادي التّركيبي إذ يعدّ هذا الأخير الميزان الذي تتراصّف فيه الكلمات ضمن علاقات يحكمها ما يسمّى بالدلالة وعلى أساسها يتمّ تركيب بناء سليم سمعا وقياسا، ويسعى كل من هذين المستويين لخدمة ما هو أعلى منهما ألا وهما البلاغة بحيث تعرف بأنّها مطابقة الكلام لمقتضى الحال وتبحث في المعاني المستفادة من تأليف الكلام.

أولا: الرّد على انتقادات التّراكيب.

1-الرّوابط اللفظيّة:

1-1 الضمائر:

ادعى المشككون وجود تباين تركيبى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة، 111] ، حيث جاء الضمير المستتر في الفعل (اشهد) للمفرد المخاطب والصواب في زعمهم أن يقال: «قالوا آمنا ونشهد بأننا مسلمون» فكانت دعواهم تقرر بعودة الفعل (اشهد) على الحواريين.

إن الآية التي أمامنا تحمل في طياتها حوارا فهي عبارة عن خطاب من الله للحواريين والذي كان الرد فيه بالفعل، فابتدأ الحوار بوحى من الله للحواريين بالإيمان به وبرسوله ليأتي الرد منهم بالفعل اشهد يعني (اشهد يا الله أننا آمنّا) وبالتالي فالآية صحيحة ولا يشوبها أي خلل.

وتذهب وجهة نظر أخرى إلى أن المدعي أخطأ في قراءة كلمة اشهد بحيث جعلها فعلا مضارعا ضميره عائد على الحواريين ، لكن الصحيح في الآية أن الفعل هو فعل أمر فاعله ضمير مستتر تقديره الله وليس الحواريون¹.

إن الآية التي بين أيدينا صحيحة ولا وجود لاضطراب في تركيبها وما حصل فيها ما يعد إلا فنا بلاغيا يعرف بفن الالتفات ويعرف هذا النوع البلاغي بأنه يتم فيه الانتقال من خطاب لآخر.

وجاء في مثال آخر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح، 8، 9].

بحيث شككوا في الآية من جانبيين :

-الجانب الأول: هو ذلك الانتقال من مخاطبة الرسول ﷺ إلى مخاطبة الجماعة.

¹ - محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص75.

-الجانب الثاني: عودة الضمير المتصل في كل من (تعزّروه وتوقروه وتسبحوه) بحيث اعتبروه في الكلمتين الأولى والثانية عائد على الرسول بينما في الأخيرة عائد على الله¹.

من أجل إبطال هذه الشبهات كان لا بد لنا من الرجوع إلى تفسير الآية وذلك من أجل شرح الكلمات المفتاحية لها والتي كانت كالتالي:

فابتدأت الآية بكلمة شاهد وتعني أنك تشهد يا رسول الله أنك بلغت الرسالة ، وقد جاء في خطبة حجة الوداع قول الرسول ﷺ : «ألا هل بلغت اللهم فاشهد» وبعد الاستشهاد يليه التبشير بالجنة وهو للمؤمنين ثم التحذير لغيرهم أي أنك يا رسول الله منذر للمكذبين، هذا الجزء الأول من الآية ثم جاء الشرط الثاني منها كإجابة عن السؤال لماذا أرسلناك؟ لتؤمن أنت ومن معك بالله وتعزّروه أي تؤيدوه وتنصرونه وهذا بناء على قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد، 7] ، توقروه أي تعظموه وانتهت الآية بالتسبيح (تسبحوه) والمقصود منها تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل النقائص ، ومنه فإنّ الضمير عائد على الله².

من أجل إبطال هذه الشبهات كان لا بد لنا من الرجوع إلى تفسير الآية وذلك من أجل شرح الكلمات المفتاحية لها والتي كانت كالتالي:

فابتدأت الآية بكلمة شاهد وتعني أنك تشهد يا رسول الله أنك بلغت الرسالة ، وقد جاء في خطبة حجة الوداع قول الرسول ﷺ : «ألا هل بلغت اللهم فاشهد» وبعد الاستشهاد يليه التبشير بالجنة وهو للمؤمنين ثم التحذير لغيرهم أي أنك يا رسول الله منذر للمكذبين، هذا الجزء الأول من الآية ثم جاء الشرط الثاني منها كإجابة عن السؤال لماذا أرسلناك؟ لتؤمن أنت ومن معك بالله وتعزّروه أي تؤيدوه وتنصرونه وهذا بناء على قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين

¹ - المرجع السابق، ص 76 .

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 8980.

الفصل الثاني: الرد على الانتقادات التركيبية والمفرداتية

آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴿[محمد، 7] ، توقروه أي تعظموه وانتهت الآية بالتسبيح (تسبحوه) والمقصود منها تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل النقائص ، ومنه فإنّ الضمير عائد على الله¹.

وأيد هذا "محمد داوود" بقوله «هذا الوجه الرّاجح في مرجع الضّمائر و اقتصر عليه "الزّمخشري" ورجحه "أبو حيان" وأيده "الطّاهر ابن عاشور" بقوله: «ضمائر الغيبة المنصوبة الثلاثة عائدة على اسم الجلالة لأنّ إفراد الضّمائر مع كون المذكور قبلها اسمين دليل على أنّ المراد أحدهما وكانت القرينة على تعيين المراد أنّه الله سبحانه وتعالى هو التسبيح ، ولأنّ عطف "ورسوله" على لفظ الجلالة اعتداد بأنّ الايمان بالرّسول ايمان بالله ومنه يكتمل القصد في مجموع الايمان بصفة عامّة².

ومنه فإنّ الأباطيل المزعومة في حق الآية لا وجود لها من الصّحة وذلك بإجماع علماء التّفسير والنّحو.

وقد ادّعى المشكّكون أن الانتقال بين الضّمائر في الآية ذاتها اضطراب تركيبى وإخلال معنوي لما هو مألوف في العربيّة حيث غفلوا عن القاعدة الأساسيّة التي تنص على أنّ كلّ زيادة في المبنى هي عبارة عن زيادة في المعنى، وردّا على قولهم نستحضر ركني الآية حيث تنقسم إلى شقيّين :

الأول: (إنّا أرسلناك مبشرا وشاهدا ونذيرا) هو عبارة عن خطاب من الله لمحمّد ﷺ بيّن فيه الله تعالى سبب إرسال النّبي.

¹ - ابن عاشور، التّحرير والتّأويل، ص 8980.

² - محمد داوود، كمال اللّغة القرآنيّة، ص 77.

الثاني: (لتؤمنوا بالله) لتأتي هنا لام الأمر مستأنفة الكلام ، ومعناه ليؤمن بك من آمن وكأنها إجابة لسؤال الشق الأول (أرسلناك—> ليؤمنوا)¹

وإذا فسرنا آخر الآية سنصل لإجابة كافية حيث أن الله أمر عباده بالتسبيح وهذا يكون له فقط،² فيزول ذلك الخلط بين رجوع الضمائر المتصلة في الكلمات الأخيرة ويسمى هذا الأسلوب في العربية أسلوب الالتفات هو فن بلاغي من محاسن الكلام يأتي كثيرا في كلام العرب فهو التعبير عن معنى بطريقة من الطرق الثلاثة (التكلم، الخطاب، الغيبة)³ ونعني بذلك الانتقال من ضمائر المتكلم إلى ضمائر المخاطب أو من ضمائر المخاطب إلى ضمائر الغيبة، وقد وردت عدة آيات قرآنية بهذا الأسلوب من بينها الانتقال من الغائب إلى المتكلم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ [فاطر، 9] والانتقال من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٠﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة، 4-5] والانتقال من المتكلم إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَالِي لَا عَبْدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس، 22].

1-2- أسماء الإشارة:

ادّعى الملقون للافتراءات وجود اضطراب وتعارض في استخدام أسماء الإشارة واستدلوا على زعمهم هذا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة، 2، 1] وقوله في موضع آخر: ﴿هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنعام، 92].

فقل أن الكتاب واحد فلما اختلفت أسماء الإشارة إليه لتكون الإشارة في الآية الأولى عبارة عن إشارة بعيدة بينما الآية الثانية إشارة قريبة.

¹ مجموعة من المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشبهات والأباطيل، ج2 (شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية

في القرآن، تنسيق جمال فوزي محمد، ص317.

² محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص67.

³ أحمد بن سليمان أيوب، موسوعة محاسن الاسلام، ص6867.

وردّا على زعمهم هذا نقول أنّ الأصل في أسماء الإشارة أن يطابق المشار إليه نوعا وعددا وقرابة وبعدا وهذا ما وجد في الآيتين، أمّا بالنسبة لتوهمهم فإنّ هذا كان من عدم تعمّقهم في القواعد الاستثنائية التي تحكمها الضّرورة الدلالية مراعاة للمعنى، فجاء باسم الإشارة (ذلك) في الآية الأولى دلالة على مكانة ومنزلة القرآن وبعده عن مشابهة الكلام العادي أمّا الآية الثانية فعمد فيها الله لاستخدام اسم الإشارة (هذا) إنّما دلالة على قرب القرآن منّا وحضوره في أسماعنا وألسنتنا والأكثر من ذلك قلوبنا.

وقيل إنّ ذلك إشارة إلى ما تضمّنه قوله: ﴿ألم﴾ وإنّما أشار إليه إشارة بعيدة لأنّ الكلام المشار إليه منقّض ومعناه في الحقيقة القرب، وذلك لقرب انقضائه، وتعتبر الإشارة بالبعيد من الأساس إشارة للقريب هكذا جاء في أساليب العرب¹.

ولم يكن قول "محمد داوود" أقلّ شأنًا من سابقه حيث قال: «فقد يشار إلى القرب بالأداة الموسومة للإشارة إلى البعيد إذا أريد تعظيم المشار إليه وبيان علو منزلته كما جاء في البيت الآتي²:

أَقُولُ لَهُ وَالرُّمْحُ يَأْطُرُ مَتْنَهُ تَأَمَّلْ خَفَافًا إِنَّنِي أَنَا ذَلِكَ

1-3- حروف الجر:

زعم المشككون وجود اضطراب وتعارض في استخدام حروف الجر واستدلوا بقوله تعالى في موضعين مختلفين الاول قوله في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [164]، أمّا الثاني قوله في سورة البقرة: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [286].

¹ - مجموعة من المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشبهات والأباطيل، ج2 شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية

في القرآن، تنسيق جمال فوزي محمد، ص2، 3.

² - محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص86.

الفصل الثاني: الرد على الانتقادات التركيبية والمفرداتية

فطّنوا أن ذلك الانتقال في استخدام حروف الجر أحدث تعارضا في تركيب الآيتين ومردا على افترائهم نقول أن المعنى هو من فرض هذا التباين حيث نجد:

الآية الأولى علق فيها الكسب بحرف الاستعلاء (على) وذلك تعبيرا على أن الأفعال التي يقوم بها الانسان ما تكون عاقبتها إلا عليه ، أي أنه مسؤول عليها أمام الله أما الآية الثانية فنلاحظ فيها تباين استخدام حروف الجر والتي انقسمت لشطرين الأول (لها ما كسبت) تعلق في هذا الشطر الكسب بحرف الملكية اللام وذلك لأن الكسب يعود بالخير على النفس، في حين نجد أن الشطر الثاني (عليها ما اكتسبت) علق الكسب فيها بحرف الاستعلاء لأن الكسب فيها يعود بالشر على النفس¹.

ومنه فاستخدام حروف الجر وجب أن يتوافق وسياق ورودها أي أن كل معنى يستوجب حروفا معينة قد تغير المقصود ، كما يعدّ استخدام الأفعال أيضا عامل يتحكم في تباين أدوات الربط بدليل أن الآية الثانية جاء فيها فعل الكسب مجردا تعبيرا عن الكسب الخير لأن هذا الأخير أمر طبيعي فطري في الانسان لا يحتاج لمجهود ولا تكلف، على عكس الفعل اكتسب الذي ورد مزيدا على وزن افتعل أي تكلف في الشيء² فنلاحظ ذلك العدول في استخدام الأفعال ليكون التركيب متطابقا والمعنى واضعا حروف الجر موضعها الصحيح .

1-4-حروف العطف:

ادّعى المشككون خروج القرآن عن المألوف في استعمال أدوات الربط (حروف العطف) ووضعها في غير موضعها مستدلين على شبهتهم بقوله تعالى: ﴿فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء،3].

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 82، 83.

² - ينظر: مجموعة من المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشبهات والأباطيل، ج2 (شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية في القرآن، تنسيق جمال فوزي محمد، ص 127، 128).

حيث زعموا أنّ تكرار الواو في الآية إنّما جاء للجمع وبالتالي يحل للرجل أن يتزوّج تسع نساء.

وردّا على افتراءهم الذي خالف قاعدة الجمع في العربية نقول أنّ الجمع قسمان :
أ- أعداد أصول: قسم يؤتى به ليضم بعضه إلى بعض ،مثل قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة، 196].

ب- أعداد معدولة: هي قسم يراد به الانفراد مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ رُبَاعَ﴾ [فاطر، 1]، ومثل قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَنَّى وَ ثَلَاثَ رُبَاعَ﴾ [النساء، 3].

والمراد بالآية هنا هو إباحة التعدد وليس الجمع وبالتعمق في فحوى الآية نجد أن فعل الأمر (فانكحوا) جاء خطابا للجميع ومقابلة الجمع بالجمع في العربية تقتضي القسمة إلى أحاد فخطاب الجماعة بمنزلة خطاب المفرد ، كما جاءت الآية التي تليها بقوله تعالى ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء، 3]، فقال فواحدة ولم يقل فموحد على وزن متنى وثلاث ورباع مما يؤكد عم وجود الجمع في الآية إنّما الشبهة جاءت نتيجة للجهل المشكك بالقاعدة².

2- التراكيب الجامعة بين النفي والإثبات:

قد ترد هذه التراكيب في أسلوب القسم وهو أسلوب توكيد إبراز لمعاني ومقاصد الكلام: إمّا لتعظيم الكلام، أو توكيده، أو إنكار منكر (إزالة شك).
وقد استعمله العرب في الموضع التي تقتضي التوثيق وتحقيق الأخبار والوعود واختلفت تسميات هذا الأسلوب بين البلاغيين والنحويين وعلماء الفقه، ونظرا لعظمته وكثرة

¹ - محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص84.

² - مجموعة من المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشبهات والأباطيل، ج2 (شبهات حول ما توهم من أخطاء لغوية في القرآن، تنسيق جمال فوزي محمد، ص81.

تردده في القرآن تعرّض له المشكّكون بجملة من الافتراءات فحواها وجود اضطراب في استعماله فتارة كان في موضعه وتارة أخرى مخالفا لموضعه واستدلوا على ادّعائهم بقوله تعالى في موضعين مختلفين: قال عز وجل: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد، 1].

وقوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينُ﴾ [التين، 3].¹

فجاء نفي القسم في الآية الأولى وأكد في الثانية ما فتح ثغرات في ذهن المشكّك واعتبر أنّ هذا التّباين يعدّ تناقضا ، كما أشاروا إلى أنّ ما وقع في الآية شركا وتعظيما لغير الله.²

إنّ الناظر للآيتين حتما سيرى ذلك التّباين لكن المتنبّع للمعنى قد يصل للهدى، كما أنّ لأساليب العربيّة عدّة أغراض قد يعبر بعضها على بعض فمثلا قد نستخدم أسلوب الاستفهام لكن لا نعنيه حقيقة وقد يكون الغرض منه تعجبا كقولنا: «أليس من الجور أن ينام شخص وجاره إلى جانبه جائع لا يحس به غير فقير مثله؟!»، وكذلك النّفي فيقع في جملة نفيًا يكون الغرض منه إثبات، فما حدث في الآية الأولى كان عبارة أسلوب نفي لكن وراء هذه البنية السّطحية معنى عميق يوحي بعظمة هذا البلد وقال "ابن عاشور": «افتتاح الله سبحانه وتعالى السّورة بلا النّافية يعدّ قسما في حدّ ذاته كما تعدّ لا حرف نفي استعمل للكناية على تعظيم أمر المقسم ، بينما اثبتت الآية الثانية تعظيما للمكان أولا وإشارة إليه ثانياً وتكملة للعدّ الذي بدأ أول السّورة (التين، الزيتون، طور سنين) أي كلّهم بذات المكانة والقيمة ويعدّون من شعائر الله³»

¹ - محمّد داوود، كمال اللّغة القرآنيّة، ص88.

² - المرجع نفسه، ص89.

³ - ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ص10840.

من خلال ما سبق نصل إلى أن القرآن كان في غاية الدقة من خلال عنايته بالأساليب، وتباينها بين النقي والإثبات ما هو إلا خدمة للأغراض البلاغية والاعجازية ومخالفة للكلام العادي.

3- التراكيب ذات المعاني المتناقضة:

التناقض: هو التعارض والاختلاف والتباين والتضاد وعدم التوافق، والتناقض عادة هو أمران مختلفان ومتعاكسان يستحيل الجمع بينهما وقد مثل المشككون له بآيات من القرآن الكريم نأخذ منها قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس، 64] زعموا أنه يناقض قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل، 101]

معنى الآية الاولى أن الله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده، وكل فعل له نتيجة فمن جاهد نفسه نال جنة وسعها السماوات والأرض ومن اتبع هواه فجزأه نار الجحيم¹ أما الآية الثانية فيقصد بها الناسخ والمنسوخ أي أن تأتي آية لتتسخ الآية التي قبلها فالله عز وجل يغير الحكم لتغير المصالح، وهنا وجب التساؤل عن مطرح وجود التناقض المزعوم؟ بيد أن الله نسخ حكما بآخر فذلك ما هو إلا مراعاة لمصلحة عباده.

4- الحشو:

ادعى بعض المشككين اشتغال القرآن على حشو ألفاظ وكلام زائد لا معنى له، ومنه ما جاء في فواتح تسع وعشرين سورة من سور القرآن الكريم من حروف مقطعة هي حروف فهي حروف عاطلة عن المعنى، ففي قوله تعالى: ﴿طَسَ تَلَكُ أَيْآتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾

¹ - محمد داود، كمال اللغة القرآنية، ص153.

[النمل، 1] يرون أنه ليس بمعجز ولا مبين كما يفهم من الآية، بل بالعكس هو شيء مبهم، فأين البيان فيه؟¹

وزعموا أن فواتح السور ليست من القرآن بل هي رموز لمجموعات الصحف التي كانت قبل المصحف العثماني أو أن عثمان رضي الله عنه قد أخذها من كلمات سرية للمسيحين استخدموها للفرار من بطش قريش وهي: أبجد هوّز حُطّي كَلْمُن وغيرها.

وقد رد عليهم المفسرون بأن أغلب السور المبدوءة بهذه الفواتح نزلت زمن بطش المشركين فجاء بها القرآن كتحد لهم للإتيان بسورة من مثله، كما أن الرسول ﷺ كان أميًا لا يعرف أسماء الحروف وهو دليل على أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد ﷺ كما أن علماء المسلمين يذهبون إلى أن هذه الفواتح هي اختصارات لأسماء الله وهو ما ذهب إليه وخلص إلى تفضيله المستشرق بلاشير².

والمأمل في القرآن الكريم وبلاغته وبيانه يدرك أن هذه الحروف من أمثلة (الم، ص، ق، كهيعص، المر...) جاءت لتعجز أهل الفصاحة والبلاغة وهم العرب ففيها حكمة بالغة وبلاغة باهرة وفصاحة كاملة .

5- التكرار:

يزعم المشككون وجود الكثير من التكرار في القرآن الكريم وذلك لضعف ثروته المعجمية- حسب زعمهم- و التكرار في القرآن ورد بعدة صور منها:

5-1- تكرار الأداة:

إن من أمثلة تكرار الأداة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل، 110] في هذه الآية تكررت "إن" والسبب هنا هو طول الفصل بين إن الأولى وخبرها وهو ما يتنافى مع الغرض منها وهو

¹ - جماعة من المؤلفين، موسوعة بيان الاسلام الرد على الافتراءات والشبهات، ص. 175.

² - محمد داود، كمال اللغة القرآنية ، ص 167.

التوكيد، كما أن حذفها يؤدي إلى الاختلال والاضطراب وعدم التناسق لذا اقتضت البلاغة إعادتها.¹

5-2- تكرار فاصلة:

تكررت الفاصلة في القرآن الكريم في عدة مواضع حيث يرى بعض المشككين أن هذا التكرار لا فائدة منه، ولتفنيد هذه الدعوى نأخذ مثالا وهو الأكثر ورودا وهو التكرار في سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ والتي تكررت واحدا وثلاثين مرة وقد جاء هذا التكرار لتعداد النعم على الثقلين وهما الإنس والجن والتي لا يمكن إنكارها² والملاحظ أن هذا التكرار لا يصيب بالملل مثل ما هو متعارف عليه في التكرار عادة، بل على العكس تماما فهو استشعار لعظمة الله و تذكير بنعمه التي لا يمكن إنكارها.

5-3 تكرار القصة:

وهو أكثر ما يتكرر في القرآن الكريم، فالعديد من القصص التي تم تكرارها لأغراض معينة نذكر منها قصة آدم عليه السلام التي وردت سبع مرات في سبع سور هي: (ص، الأعراف، طه، الإسراء، الحجر، الكهف)، ونأخذ مثالا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا...﴾ [البقرة، 35] وفي موضع آخر: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف، 19] يكمن الاختلاف هنا في قوله "فكلا" وقوله "وكلا"، " قيل: إن السكنى في آية البقرة للإقامة، وفي آية الأعراف اتخاذ المسكن، فلما نسب القول إليه (آدم) ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى و الأكل لذلك قاله فيه (رغدا)، وقال (حيث شئتما) لأنه أعم، أما في

¹ - المرجع السابق، ص 167.

² - محمد داود، كمال اللغة القرآنية، ص 172.

الأعراف فقد قال: (فكلا من حيث شئتما) فأتى بالفاء الدالة على الترتيب فالأكل يأتي بعد المسكن الذي أمر آدم باتخاذها، وقوله (من حيث) لا يعطي عموم (حيث شئتما)¹

والغرض من تكرار القصص في القرآن الكريم هو الحث على أخذ العبرة من الأقوام السابقة، كما أن هذا التكرار يعد تحقيقاً للمعاني في الأنفس، وهو تسليّة النبي و تذكره بأن ما يحصل له مع قومه حدث مع جميع الأنبياء من قبله و البديع في تكرار القصص القرآنية أنها تأتي بطابع مختلف كل مرة فجمال التكرار هنا يبقي على سمة التشويق لأخذ المزيد.

ثانيا: الرد على انتقادات المفردات:

1- الألفاظ الجامعة بين المعاني المتناقضة:

ادعوا أن في معاني القرآن الكريم ما يدل على اللفظ الواحد ونقيضه، ومثلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة، 46]، وقد ورد النقيض - حسب زعمهم - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم، 28].

وهي شبهة واهية فمن المسلمات المعروفة في علم اللغة ظاهرة المشترك اللفظي الذي من أنواعه ما يعرف بالأضداد وقد وردت في عدة كتب حتى من الكتب الأجنبية وهو ما يعرف عندهم بـ "polysemy" أو "homonymy" فمثلا كلمة (عين) لها العديد من التأويلات فكلمة (الظن) هي من المشترك اللفظي بإجماع العلماء، يقول ابن فارس في هذا الموضوع "الظاء و النون أصيل صحيح يدل على معنيين مختلفين يقين وشك، فأما اليقين فقول الشاعر: ظننت ظنا أي أيقنت، قال الله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا

¹-بدر الدين بن جماعة، كشف المعاني، تحقيق محمد محمد داود، دار المنار للطبع و النشر و التوزيع، مصر، القاهرة، ط1، (د،ت)، ص56.

الفصل الثاني: الرد على الانتقادات التركيبية والمفرداتية

ربهم وأنهم إليه راجعون) أراد - والله أعلم - يوقنون، والعرب تقول ذلك وتعرفه، قال دريد ابن الصمة:

عَلَانِيَةً ظَنُّوا بِالْفِي مُدَجِّجٍ سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ

أراد أيقنوا وهو في القرآن كثير ¹

والملاحظ هنا أن أصحاب هذه الدعوى جاهلون بمبادئ علم اللغة ولولا ذلك لما زعموا هذه الحجج التي لا أساس لها من الصحة .

2- الألفاظ المعيبة في بنيتها :

-أسماء الأعلام المبدلة:

زعم المشككون وجود تغير في أسماء الأعلام في القرآن الكريم فللعرب في نطق الأسماء الأعجمية تصرفات كثيرة فهم يصرفونها ويكيفونها لتصبح مناسبة لأبنية العربية بيد أنها ليست من لغتهم، تعددت الشواهد في هذا الموضوع في القرآن الكريم ونأخذ مثالا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَ طُورِ سَيْنِينَ﴾ [التين، 2] حيث زعموا وجود تحريف من كلمة (سيناء) إلى (سينين) وذلك لأجل السجع فقط إلا أن كلا من الكلمتين قد وردتا في القرآن الكريم دلالة على الموقع المعروف في مصر²، وتقرأ سيناء بالكسر و المد أو بالمد و القصر وكلها جائزة فهي لغات صحيحة في العربية ولا تفضيل لإحداها على أخرى.

-انتقادات في الإملاء:

كما يدعي بعض المشككين وجود أخطاء في رسم القرآن الكريم لمخالفته قواعد الإملاء ،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطِ

¹ - محمد داود، كمال اللغة القرآنية ،ص106.

² -المرجع السابق، ص123.

كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿التحریم.1﴾

وهنا وردت كلمة (امرات) بالتاء المفتوحة بدل التاء المربوطة فالصواب -في ظنهم - قول (امراة).

وهذا راجع لعدم معرفتهم بطريقة كتابة وصيغة رسم المصحف العثماني، بيد أن لهم خصوصيات تختلف عما تعارف عليه الناس في كتاباتهم العادية ،ومن ذلك كلمات اخرى مثل "الرحمن" و "العلمين" و "الحياة" وغيرهم.

وقد وردت كلمة "امرات" في القرآن الكريم بالتاء المفتوحة سبع مرات في سبع مواضع هي: قوله تعالى: ﴿(امْرَأَتُ عِمْرَانَ)﴾ [آل عمران،35] وقوله أيضا: ﴿(امْرَأَتُ الْعَزِيزِ)﴾ [يوسف،30] وقوله عز وجل: ﴿(امْرَأَتُ الْعَزِيزِ)﴾ [يوسف،50] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي﴾ [القصص،09]¹

والملاحظ هنا أن النساء اللواتي ذكرت التاء فيهن مفتوحة ليست نساء عاديّات فقد جعل الله من قصة كل امرأة منهم عبرة للعالمين وقد وردت في المواضع المذكورة تنبيها على فعل التبعل والصحبة والمخالطة وهنّ أربعة نساء ثلاثة منهنّ كنّ منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن، وواحدة متّصلة ببعلها فامراة عمران واصلت بعلها باطنا وظاهرا، وامراة فرعون انفصلت عن بعلها طاعة لله وخوفا منه، أما امرأة نوح ولوط فقد انفصلتا عن أزواجهما كفرا بالله فنالهما عذابه، بينما وردت كلمة امرأة بالتاء المربوطة في أربعة مواضع هي: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ...﴾ [النساء،12] وقوله: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا

¹ - ينظر، محمد داود، كمال اللغة القرآنية ، ص 299.

...﴿[النساء، 128]، وقوله: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ...﴾[النمل، 23]، وقوله: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي...﴾[الأحزاب، 50].

وقد وردت في هذه المواضع للدلالة على الوصفية وهذا يعني أن الآيات التي وردت فيها كلمة (امرات) كان المقصود بها امرأة معروفة ومقصودة بعينها ، بينما الآيات التي وردت فيها كلمة (امرأة) كان المقصود بها الإشارة إلى جنس المرأة عامة¹. وهنا يتبين لنا أن القرآن الكريم منزّه عن الخطأ لأن هذا الرسم خاص بالقرآن ولا يقاس عليه، كما أنه يعد حفاظا على لغات العرب الفصيحة والمقصود هنا لغة طيء، لذا فلا وجود للخطأ الإملائي في القرآن الكريم .

3- الألفاظ المتقاربة صوتيًا:

زعم بعضهم أن التقارب في أصوات الكلمات هو تقارب في معانيها وهو زعم باطل لا يصدر من عاقل فكيف لكلمتين مثل: (ركل و رحل) أو (أكل ورجل)، أن يتقاربا في المعنى، فزعموا مثلا أن الحجّ معناه الحكّ وهو زعم وإه ، وإن لاحظنا الاستعمال الفعلي لهذين اللفظين يثبت عدم وجود أيّة علاقة بينهما فلفظة حجّ مثلا تستعمل بمعنى القصد والكف والقدوم، أما لفظة حكّ فيقصد به إمرار شيء على شيء².

وزعمهم هذا مبني على أساس أن هذه الكلمات تخرج من حيز واحد أي هناك تقارب في مخارج حروف هذه الألفاظ وذلك ليس دليلا على تقارب معناها مطلقا.

4- الألفاظ الغريبة:

زعم بعض المشككين وجود ألفاظ ذات معان غريبة عن اللغة العربية في القرآن الكريم وهي: أبّا، غسلين، حنائًا، أوّاه، الرقيم، كلاله، مبلسون، أخبثوا، حنيذ، حصحص،

¹ - جماعة من المؤلفين، موسوعة بيان الاسلام الرد على الافتراءات والشبهات، القسم الأول: القرآن، ج2، دار نهضة مصر، مصر، الطبعة الأولى، 2011م، ص175.

² - محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص127.

يتقياً، سرياً، المسجور، قمطريراً، عسّس، سجّيل، الناقور، فاقرة، استبرق، مدهامتان، الخرطوم ففي قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم، 16]، وهنا استغربوا ورود لفظة الخرطوم في القرآن الكريم لعدم ورود أي ذكر على أن انف الإنسان يسمى بالخرطوم، لكنهم لو بحثوا أو كلفوا أنفسهم قليلاً في البحث عن أصلها لوجدوا أنها موجودة في المعاجم على أنها: "الخرطوم: الأنف، والخطم من كل طائر: منقاره، ومن كل دابة: مقدم أنفه وفمه"¹

مما يعني أنه لا وجود لغريب الألفاظ في القرآن الكريم فكل لفظة جاءت في القرآن إنما هي من لغات العرب وتم شرحها في معاجم العرب.

5- الألفاظ الأعجمية:

جاؤوا بهذه المسألة لتعزيز ادعائهم أنّ القرآن ليس منزلاً من عند الله بل تعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم من غيره ، ولا غبار على وجود كلام مركب على أساليب غير العرب في القرآن الكريم فهي ألفاظ أعجمية تم تعريبها فأصبحت عربية على هذا الأساس و بيد أن القرآن الكريم جاء بلسان عربي مبين باختلاف لغاتهم.

ولنفرض أن زعمهم هذا صحيح وأن القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم، فحياة النبي كانت معروفة للجميع فقد كان أمياً لا يعرف غير العربية، أنى له أن يأتي بهذه الألفاظ الأعجمية سواء كانت عبرية أو سريانية وهذا دليل واضح وصريح على أن مزاعمهم باطلة واهية ما جاءت إلا لتشوّه القرآن الكريم و تشكك فيه.

6- الألفاظ الخادشة للحياء :

أشار المنتقدون إلى وجود ألفاظ خادشة للحياء منها:

¹ المرجع السابق، ص 130.

الفصل الثاني: الرد على الانتقادات التركيبية والمفرداتية

-المني: ويعني بها النطفة، وهو السائل المسؤول عن تكوّن الإنسان فإذا تمعنا في القرآن الكريم نجد أن كل المواضع التي ذكرت فيها هذه اللفظة وردت فيها حكاية خلق الإنسان بأسلوب مهذب.

-الفرج: ويعنى به الثغر، أو الشق بين شئئين ويعنى به هنا قبل الإنسان أو دبره ولا وجود للفظ أنسب أو أكثر تهذيباً ليعوضه.

-الخور العين: وهو لفظ بعيد كل البعد عن خدش الحياء ، أيسّحي أحد أن يذكر لفظاً معناه :

الخور: جمع حوراء، وهي شديدة بياض العين شديدة سواد سوادها

العين : جمع عياء، وهي واسعة العين ، التي استدارت حدقتها، ورقّت جفونها، وابيضّ ما حولها.

-الترائب: هي أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته، وقيل هي عظام النحر والصدر، وقد وردت في القرآن الكريم للدلالة على المكان الذي ينشأ منه الولد.

فما الذي يجرح الحياء هنا؟¹

ونستنتج هنا أن زعمهم باطل لعد وجود ألفاظ أخرى بنفس بلاغتها تستبدلها، كما أنّ القرآن جاء مفسراً الدين الإسلامي للأمة ومجيباً على جميع التساؤلات التي يمكن أن تطرح، ولو كان في هذه الكلمات جرح للحياء لتفطن لذلك الأئمة فهم الأجدر بهذا الموضوع.

¹ -ينظر: محمد داوود، كمال اللغة القرآنية، ص144، 146.

خلاصة الفصل:

خلصنا في هذا الفصل إلى جملة من النتائج والتي يكمن تجسيدها في النقاط التالية:

الفصل الثاني: الرد على الانتقادات التركيبية والمفرداتية

-إنّ الشبّهات التركيبية متعلّقة بالسّلاسل الكلاميّة وعمدتها فانقسم هذا الجانب إلى ما تعلّق باستخدام الرّوابط اللفظيّة (الضمائر، حروف الجر، حروف العطف.....) وظواهر الحشو والتكرار وغموض التراكيب وتناقضها.

-إنّ الشبّهات المفرداتية متعلّقة بالألفاظ المتناقضة في معانيها والمتقاربة صوتيًا والغريبة والمعيبة بنويًا والأعجميّة إضافة للألفاظ الخادشة للحياء.

- من خلال التّدقيق في الشبّهات التركيبية والمفرداتية تراءى لنا أن هذه الشبّهات هي ما إلّا تتبع من أشخاص لا يفقهون اللّغة العربيّة ولا يفرّقون بين المرفوع والمنصوب وبين المشبّه والمشبّه به ممن يدعون أنّهم عباقرة اللّغة هذا العصر.

الخاتمة:

من خلال كل ما سبق خلصنا إلى أنّ الحرب على القرآن قديمة قدم نزوله، وكانت نتيجة لجملة من الأحقاد الدينيّة من بعض المستشرقين في هوامش أمثال أوري روبين في هوامش ترجمته العبريّة للقرآن الكريم والعلمانيّين، فتنوّعت بذلك الشّبهات بين العقيدة وعلوم القرآن وصولاً إلى اللّغة بمستوياتها (الصّرفي، النّحوي، التّركيبي والمفرداتي.....) والتيّ جاء الرّد فيها بالتّعليلات اللّغوية بحيث تعدّ هذه الأخيرة جملة من الرّدود والتّبريرات المختّصة بكل جانب والتيّ أثبت فيها علماء العربيّة أسبقيّة القرآن للنّحو.

واستخلصنا من كل هذا أنّ جلّ الشّبهات كانت نتيجة لجهل المشكّكين باللّغة العربيّة وما تحتويه من قواعد واستثناءات فمهما تطوّرت وتجدّدت هذه الافتراءات والأباطيل أثبتت تنزيه القرآن عن الخطأ وقوّة إعجازه لفظاً ومعنى وأسهمت في بروز دراسات قرآنيّة جديدة ونشر مؤلّفات دلّت على الارتباط الوثيق بالدين والقرآن واعتزاز المسلمين بحملهم هذه الرّسالة.

ولقد توصلنا من خلال سيرنا في البحث وما اكتسبناه من معلومات إلى جملة من الحلول للحدّ من ظاهرة التّشكيك ألا و هي:

- ترجمة الكتب التي تتحدّث عن الرّد على هذه الشّبهات لأكثر من لغة.
- إنشاء مكاتب وجمعيات تضمّ مختصين وخبراء لغويّين للرّد على هذه الشّبهات المتجدّدة.

- إجراء ندوات وملتقيات تحسيسيّة على مستوى الجامعات والثّانويّات تسهم في التعريف بهذه الظّاهرة وتعطي أمثلة حولها.

- القرآن برواية ورش عن نافع

المصادر والمراجع:

1-الكتب:

- أبو عبد الله محمد ابن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرّازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1430.

- أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، ت ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، دت.

- أحمد ابن فارس ابن زكريّا القزويني الرّازي أبو الحسين، مقاييس اللّغة، دار الفكر، دط، 1979.

- أحمد سليمان أيوب، موسوعة محاسن الاسلام وردّ شبهات اللّثام، دار إيلاف، الطبعة الأولى، دت، 2015.

- بدر الدين بن جماعة، كشف المعاني، تحقيق محمد داود، دار المنار للطبع و النشر و التوزيع، مصر، القاهرة، ط1، دت.

- جماعة من المؤلفين، موسوعة بيان الإسلام، الردّ على الافتراءات والشّبهات، القسم الأوّل: القرآن، ج2، دار نهضة مصر، مصر، الطبعة الأولى 2011م.

- جماعة من المؤلفين، موسوعة القرآن في مواجهة الشّبهات والأباطيل، ج2(شبهات حول ما توهم من أخطاء لغويّة في القرآن الكريم)، تنسيق جمال فوزي محمد، كليّة الآداب، جامعة قناة السويس، دط، دت.

- عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الاعجاز الصّرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصريّة بيروت، دط، دت.

- عبد الجليل الشلبي، رد على مفتريات المبشرين على الإسلام، مكتبة المعارف، الرّ بدر الدين بن جماعة، كشف المعاني، تحقيق محمد داود، دار المنار للطبع و النشر و التوزيع، مصر، القاهرة، ط1. د،ت ياض، الطبعة الثانية، 1985.
- عبد الرّحمان دمشقيّة، الرّد على شبهات حول أخطاء إملائيّة في القرآن الكريم، دار المسلم، الطبعة الأولى، 3.2003.
- عبده الرّاجحي، التّطبيق النّحوي، دار المعرفة، الاسكندريّة، الطبعة الثانية، 1998.
- عبده الرّاجحي، التّطبيق الصّرفي، دار النّهضة العربيّة، بيروت، دط، دت.
- عبد محمد حسنين، الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الاسلام والتّشويش عل دعوته، الجامعة الاسلاميّة، المدينة المنوّرة، الطبعة الثانية، العدد العاشر، 1977.
- محمّد الطّاهر ابن محمّد بن محمد الطّاهر ابن عاشور التّونسي، التّحرير والتّنوير، الدار التّونسيّة، تونس، دط، 1984.
- محسن بن زين بن متعب المطيري، دعاوى الطّاعنين في القرآن الكريم في القرن الرّابع الهجري والرّد عليها، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006.
- وليد عاطف الأنصاري، نظريّة العامل في النّحو العربي، دار الكتاب النّقافي، الطبعة الثانية، 2014.

2-الرسائل الجامعيّة:

- أمل أحمد علي مفتاح، تحليل الطّواهر اللغوية عند ابن جني، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماستر، جامعة طرابلس، كلية الآداب، قسم اللغة العربيّة، دط، 2010/2011م.

3-المجلات والدّوريات:

- مي بنت محمد الهدب ،منهج القرآن الكريم في الرد على الشبهات خصائصه وقواعده ، مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية، 1442، العدد84.

فهرس المحتويات:

أ.....	مقدمة:
7.....	مدخل:
7.....	تمهيد.....
7.....	1- مفهوم التعليل اللغوي.....
8.....	2- مفهوم انتقاد القرآن الكريم.....
10.....	3- دوافع انتقاد القرآن.....
11.....	3-1- الانتقاد الموضوعاتي.....
12.....	3-2- الانتقاد اللغوي.....
12.....	4- فئات منتقدي لغة القرآن الكريم.....
12.....	أ- المستشرقون.....
13.....	ب- العلمانيون.....
	الفصل الأول: الرد على الانتقادات الصرفية والنحوية.....
16.....	تمهيد.....
16.....	المبحث الأول: الرد على الانتقادات الصرفية.....
16.....	1- العدول في صيغ العدد.....
16.....	أ- جمع القلة مكان جمع الكثرة.....
18.....	ب- جمع الكثرة مكان جمع القلة.....
19.....	ج- الجمع مكان الأفراد.....
21.....	د- الأفراد مكان التثنية.....
21.....	العدول في صيغ الجنس والزمن.....

أ-تذكير المؤنث.....	21
ب-التعبير عن الماضي بصيغة الحاضر.....	22
المبحث الثاني: الرد على الانتقادات النحوية.....	23
1- انتقادات في المطابقة.....	23
1-1-عدم المطابقة العددية والنوعية بين الضمير وما يعود إليه.....	23
1-2-عدم المطابقة العددية والنوعية بين المبتدأ والخبر.....	25
1-3- توهم عدم المطابقة بين النعت والمنعوت.....	27
1-4- توهم عدم المطابقة بين الحال وصاحبها.....	29
1-5- توهم عدم المطابقة بين الاسم الموصول وما يعود عليه.....	31
1-6-عدم المطابقة العددية بين التمييز والمميز.....	32
1-7-عدم المطابقة النوعية بين العدد والمعدود.....	33
1-8-عدم المطابقة النوعية بين الفعل والفاعل.....	34
2-انتقادات في الإعراب.....	35
2-1-نصب الفاعل ورفع المفعول به.....	35
2-2- نصب المضاف إليه.....	36
2-3- نصب المعطوف على المرفوع.....	38
2-4-رفع المعطوف على المنصوب.....	38
2-5- رفع اسم إن.....	40
2-6-جزم الفعل المعطوف على المنصوب.....	40
خلاصة الفصل.....	42
الفصل الثاني: الرد على الانتقادات التركيبية والمفرداتية	
تهيد.....	44

44.....	المبحث الأول: الرد على انتقادات التركيب
44.....	1- الروابط اللفظية
44.....	1-1- الضمائر
48.....	1-2- أسماء الإشارة
49.....	1-3- حروف الجر
50.....	1-4- حروف العطف
51.....	2- التراكيب الجامعة بين النفي والإثبات
52.....	3- التراكيب ذات المعاني المتناقضة
53.....	4- الحشو
53.....	5- التكرار
54.....	5-1- تكرار أداة
54.....	5-2- تكرار فاصلة
54.....	5-3- تكرار قصة
55.....	المبحث الثاني: الرد على انتقادات المفردات
55.....	1- الألفاظ الجامعة بين المعاني المتناقضة
56.....	2- الألفاظ المعيبة بنويًا
56.....	2-1- الأعلام المبدلة
57.....	2-2- انتقادات في الإملاء
58.....	3- الألفاظ المتقاربة صوتيًا
59.....	4- الألفاظ غريبة
59.....	5- الألفاظ الأعجمية
60.....	6- الألفاظ الخادشة للحياء

62.....	خلاصة الفصل
63.....	الخاتمة
64.....	قائمة المصادر والمراجع
66.....	فهرس المحتويات
70.....	الملخص

ملخص:

يهدف البحث إلى معالجة إشكالية الذود عن لغة القرآن الكريم ضدّ من توهموا فيه الخطأ، اتبعنا المنهج الوصفي المعياري، وقسمنا البحث إلى فصلين، تناول الأول الرد على الشبهات الصرفية والنحوية، أما الثان فتناول الرد على الشبهات التركيبية والمفرداتية، توصلنا فيه إلى مجموعة من النتائج أبرزها: نزاهة القرآن عن الخطأ وقوة إعجازه لفظا ومعنى. **الكلمات المفتاحية:** التعليلات اللغوية، منتقدو لغة القرآن، الشبهات اللغوية.

Summary:

The research aims to address the problem of defending the language of the Holy Qur'an against those who thought it was wrong, We followed the standard descriptive approach, The research was divided into two chapters, The first dealt with the response to morphological and grammatical suspicions, The second dealt with the response to the syntactic and lexical suspicions, We reached a set of results, most notably: The integrity of the Qur'an for error And the power of miraculous words and meaning.

key words: Linguistic explanations, Critics of the language of the Qur'an, Linguistic suspicions .